

روايات مصرية للجيب

1

الكتاب

www.liilas.com/vb3
^ RAYAHEEN ^

حكايات

ليلية



روايات مصرية الجيب

عالمنا



د. قاسم إبراهيم

عالمنا

مشاهد مخيف

من عالم

الرعب والفرع

حكايات ليلية

لا أعرف كيف أصف المشهد .. لكنني
سأحاول تقريب الصورة لذهنك .. تخيل
جثة رجل تسير تجاهك .. تحرك
ميكانيكية بطيئة مخيفة .. تخيل أن
هناك شيئاً ما يتحرك أسفل جلد هذه
الجثة كأنه سائل يعلو .. تخيل أن الرأس
يستقل على الصدر بزاوية ذات دلالة ..
تخيل أن هذه الجثة كانت صديقك منذ
دقائق معدودة وكان يتناوب معك على
لشافة التبغ الأخيرة ..
تخيل أن الصوت الرهيب الماجن ، كان
يصدر من أعماق جثة (كارل) ليقول :
- هانذا قدام اليكما .. انتظراني ..
هي هي هي ..

الرواية القادمة: الذي لم يمت



المؤسسة المصرية الجديدة
للطباعة والنشر والتوزيع
100 شارع النور - القاهرة - 11511
تليفون : 3349000 - 3349001
فاكس : 3349002



عالم آخر

اليوم سنحكي حكايات ..

وحكايتنا ليست كأي حكايات ، بل هي حكايات
مخيفة ..

اليوم سندخل عالم الرعب من أوسع أبوابه
وسنطوف بين القلاع والقبور .. سنغوص في قلب
المحيط وسنستكشف أراضى لم نطأها قدم .. بشرى !
سنعرف أسراراً ما كان لنا أن نعرفها .. وربما تدفع
التمن ..

اليوم سنبدأ أولى خطواتنا في هذا العالم ..

لكننى لا أعد أحد بالعودة ..

أبدأ ..

د . تامر إبراهيم

الذى حدث هناك

- « هل لى أن أفهم ما الذى يحدث بالضبط ؟ »

قالت ، ثم دارت عيناه فى الوجوه المحيطة ، عنه يستشف
إجابة منها دون جدوى ..

واقرب منه هذا القصير ، قاتلاً بلهجة محايدة :

- عذراً لاستدعائك العاجل يا سيدى .. ولكن ثمة ما أود
عرضه عليك ..

زاده قوله هذا توتراً فعاد يتسائل :

- ماذا بالضبط ؟

- لست لظن الموقف قبلاً للشرح .. من الأفضل أن تراه
بنفسك ..

ولجئ بضعة ممرات ، منحتها إضاءة قنبون الشاحبة ، جواً
ثقيلاً ، شعر به بجثم على نفسه ، ويخلق أفكاره المخدرة بأثار
النوم الذى لفترعوه منه بذلك الاستدعاء العجيب ..

- « نرجو حضور سيادتكم على الفور .. الأمر عاجل وغير
قابل للتأجيل .. »

ترى ما هو هذا الأمر العاجل الذى استدعوه من أجله ؟

وألقي بنظرة أخرى ، على ملامح القصير الذى سار جواره صامتاً ، فى محاولة أخرى لاستشغاف طبيعة الموقف ، لكن وأذاها جمود ملامح القصير المستقر ..

وأخيراً بلغا قاعة عرض الفيديو ، وما إن دلفاها حتى أغلق القصير الباب خلفه بإحكام ، ثم التفت إليه ليحدث فى عينيه بصرامة قللاً :

- لقد منحت الأمر سرية مطلقة حتى تطمئن عليه بنفسك .. إنه يتعلق بالمركبة الفضائية (إس - ٣٢) التى أطلقناها الأسبوع الماضى فى مهمتها الاستكشافية ..

اصطبغ صوت المسئول بالتوجس وهو يقول :

- ما الذى حدث لها ؟

منحه مساعده القصير نظرة صامتة أذهبت أعصابه ، ثم واصل وكأنه لم يسمع سؤاله :

- التسجيلات التى مستشهداها الآن من داخل المركبة (إس - ٣٢) ، ولقد أخذنا فى تلقيها بعد ثلاثة أيام من إطلاق المركبة ..

وبدون أن ينتظر رده قام بتشغيل جهاز العرض ..

وعلى الشاشة المسطحة .. وأمام عيني المسئول .. أطل وجه شاب واضح للقسمات ، قصير الشعر ، خرج صوته قوى للنبرات على نحو يوحى بالثقة وهو يقول :

- هنا المركبة (إس - ٣٢) .. البث الأول .. التوضع مستقر وجميع الأجهزة تعمل بكفاءة .. السرعة تبلغ ثلثى سرعة الضوء وفى المسار الصحيح .. أجهزة الضغط وتوليد الأكسجين تعمل بكفاءة .. سأقوم بإرسال البث الدورى الثانى بعد أربع وعشرين ساعة بالتوقيت الأرضى ..

قالها ، وبدأ كمن يمنح لكاميرا ابتسامة بلامعنى ، ثم أظلمت الشاشة ، وهم المسئول بقول شيء ما عندما سطع ضوء الشاشة مرة أخرى فى عينيه ، حاملاً وجه الشاب بعلامته الثابتة ، والذى اتبع صوته مرة أخرى يقول :

- هنا المركبة (إس - ٣٢) .. البث الثانى .. مازال التوضع ثابتاً .. الفحص الدورى للأجهزة يؤكد أن كل شيء على مايرام .. فقط يبدو أن هناك خللاً ما فى أجهزة ضخ الأكسجين ، فهى تضخ الأكسجين بمعدل أقل من المعتاد .. لست متأكداً .. سأقوم بمراجعة جهاز الضغط والتأكد من هذا .. ما زلت أطلق بسرعة ثابتة وفقاً للقصور الذاتى .. البث القادم سيكون بعد أربع وعشرين ساعة بالتوقيت الأرضى ..

ومرة أخرى الابتسامة غير ذات المعنى ، ثم أظلمت الشاشة ، وإذا سطعت الشاشة مرة أخرى ، كانت تحمل تفاصيل أكثر وضوحاً لأجهزة المركبة الداخلية ، وللشاب الذى وقف وسطها ليقول وقد نحت القلق تفاصيل جديدة فى قسماته الواضحة :

- المركبة (إس - ٣٢) .. لبث ثلثث .. يبدو أن هناك خطأ ما .. لقد تأكدت من جميع أجهزة ضخ الأكسجين وجهاز إعادة تحويل ثلثي أكسيد الكربون إلى أكسجين وكلها تعمل بكفاءة ، لكننى ما زلت أشعر أن الأكسجين لقل .. بالطبع سنستبعد احتمال التسرب ، وهذا يترك لى احتمالاً .. حسن .. إنه ليس احتمالاً ..

وصمت الشاب لحظة بدا فيها حقراً فيما يقول ، ثم اقترب بوجهه ليملا به الشاشة أمام عيني المسئول مردفاً :

- الأمر يبدو كأن هناك من يتنفس معى داخل المركبة ! لست لرى .. على كل حال لبث القلم سيأتى فى موعده المعتاد ..

وهذه المرة اجتهد ليلتزع إبتسامته المعتادة ثم أظلمت الشاشة مجدداً ..

وعلى الفور قال المسئول ، وللخدر يظف أعصابه أكثر وأكثر :

- ما الذى يعطيه بوجود من يتنفس معه داخل المركبة ؟ ليس وحيداً داخل المركبة ؟

- تابع يا سيدى .. تابع ..

وسطعت الشاشة مرة أخرى ، وانفجر معها صوت الشاب مخترقاً أعصاب المسئول ، وهو يهتف والانفعال يصنع تموجات عنيفة فى ملامحه :

- هنا المركبة (إس - ٣٢) .. أعرف أن ما سأقوله سيبدو جنوناً وغير منطقي ، لكننى لست وحيداً فى هذه المركبة !! نعم ، لست وحيداً ، هناك من يتنفس داخل المركبة .. يتنفس وأنا أسمع به بوضوح .. أسمع صوت تنفسه الثقيل طيلة الوقت .. إنه يستهلك الأكسجين بضروة نون أن يخرج ثلثي أكسيد الكربون ليتم إعادة ضخه فى صورة أكسجين .. أشعر لئننى لتنفس بصعوبة .. ربما أنا أهذى .. ربما هى الرحلة التى أثرت على .. حقا أتمنى لوأننى أهذى ..

وهذه المرة لم يلق بإبتسامته قبل أن تظلم الشاشة ..

وهذه المرة تملك ارتعاده عجيبة جسد المسئول ، وقصعت عناءه فى مزيج من اللفظة والقلق منتظراً سطوع الشاشة مرة أخرى ..

وفى أعصابه بدأ شعور دفين بالخوف يشق طريقه الى سطح أفكاره ..

للكراه لتى استحل الخدر حولها إلى طبقة كثيفة من الضباب و ... وسطعت الشاشة مجدداً ..

وبلغ الخوف طريقه بسرعة جنونية من قبره ، إلى سطح أفكار المسئول ، الذى حقق بعينين زلزلتين فى الشاب الذى جلس على أرض المركبة ضاماً ركبتيه إلى صدره وكلما يلوذ بهما من خطر مجهول ..

وتحدث الشاب .. بشحوب وجهه تحدث .. بالارتعاده فى صوته
تحدث :

- بته .. هنا .. هنا معى فى المركبة .. صدقوا هذا لو لا تصدقوه
هذا ، فلم أعد أبلى .. لقد طقت تحكى فى المركبة .. لقد تغير
مسارها وهى تتجه الآن إلى المجهول ذاته .. لست أدري كم
تبقى لى من أكسجين .. ولم يعد هذا مصنع فارقا على أية
حال .. فقط أتمنى أن ينتهى كل هذا سريعاً .. ترى ، هل من
الممكن أن يحدث هذا ؟

وأظلمت الشاشة ..

هستريا ..

هذا الوغد الذى ينعب بأعصابه الآن من على بُعد آلاف
الأميال ، مصاب بالهستيريا ..

لا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك ..

أم .. أم أن الأمر كذلك حقاً ؟؟

والبحم صوت مساعده القصير ، الحيدى لتيرة ، أفكره يقول :

- تقطع الاتصال بعد ذلك لمدة ثلاثة أيام .. ثم .. ثم جاعنا
هذا البث ..

ومع سطوع الشاشة هذه المرة ، ظهر الهول ..

واتلفض جسد المسئول والخدر يتلاشى فجأة تاركاً كل
أفكاره تحت رحمة الخوف ..

الشاب .. هل .. هل كان يصرخ ؟

أما المركبة نفسها فكانت تهتز لأغرب سبب ممكن ..
وربما أكثر إفزاعاً ..

لقد كانت هناك طرقات عذيفة على جدران المركبة الخارجية ..

تماماً وكأنا اجتمع مجموعة صبية مثاكسين على سيارة
صغيرة ليوسعوها طرقات ، مع فارق .. لأنها ليست سيارة ، وأنهم
ليسوا صبية .. فهم على الأقل - فى الفضاء الخارجى الآن ..

وأظلمت الشاشة بقعة فشر المسئول وكأنا فقد القدرة على
التنفس .. وانتزع كلمة واحدة من حلقه وكأنما ينتزع رأس
حربة غرس فيه :

- رهااااه ..

ويدا صوت مساعده الحيدى كأنما يأتى من بعيد ، إذ قال :

- الآن سنشاهد آخر بث وصلنا من المركبة .. تمالك ..

وسطعت الشاشة مجدداً ، ليهذو رذاذ دم على سطح الكاميرا ،
حديق فيه المسئول بفزع تضاعف مع ظهور وجه الشاب هذه
المرة ..

ظهر وجهه بيضاء .. من أسفل لأعلى ليملأ الشاشة ..
عينان جاحظتان يرقص الرعب في حديقتهما ، جاحظتان بصورة
غير طبيعية .. وخيوط الدم تسيل من تحتى الأنف والأتنين ..
وخرج صوته هذه المرة .. فى حقيقته لن ينسى المسئول
هذا الصوت :

- الـ .. ضغ .. ط .. إ .. نه .. يتلأ .. هو .. فعد .. ها !!

واتفجر الدم بقعة ليغطي الشاشة كلها وليرتد معها جسد
المسئول إلى الخلف ، وكأما انفجر الدم فى وجهه هو ..
وعندما نطق أخيراً كان ما فعله أشبه بالصراخ :

- لقد مات .. هذا الشاب .. كيف ؟! كيف حدث هذا ؟! ومن
الذى قام باختبار أجهزة المركبة قبل أن تتطلق ؟! وما الذى
حدث هناك ؟!

أدار له مساعده القصير وجهها صيغه الضوء القادم من
الشاشة باللون الأحمر ليقول :

- سيدى .. أخشى أن هذه المشكلة ليست الأساسية ..

صرخ المسئول بغضب ارتجفت له حروفه :

- ما هى المشكلة إذن ؟!

لخفت النبرة التحيلية من صوت مساعده ، وهو يقول أخيراً :

- المشكلة أن المركبة (إس - ٣٢) أرسلت لمهمة استكشافية
بحثة .. وقيامتها تتم بواسطة الكمبيوتر ، بصورة أوضح نحن لم
نرسل أحداً داخل هذه المركبة ، نحن لا نعرف من هذا الشاب
وكيف بلغ المركبة .. لقد أرسلناها خلوية .. خلوية تماماً !

قلها فتجمد المسئول وقد فقد قدرته على التتبع .. وفى
عقله أخذ شيطان الهلع يمزى أفكاره وقدرته على التماسك ..

حرك رأسه أخيراً ليلقى بنظرة على الشاشة ، وقد بدأ
يلهم ..

وعلى الشاشة .. بدأ وكان وجه الشاب الذى غطته الدماء ،
يتسم اهتماماً بلامعنى ..

إنهم هنا

بفتة .. انتفض مستيقظاً ليحرق حوله ذاهلاً ..

قمرة القيادة .. السفينة .. المحيط .. زجاجات الخمر ..
الرحلة البحرية .. الطاقم ...

أفكار أخذت تبعث من ذاكرته لمحة بعقب الخمر ، التي
تلاشت لجاراتها حوله ، فحلق فيها لحظة مستعيداً ذاكرته ثم ...

الطاقم .. أين الطاقم ؟ لماذا لا تتحرك السفينة ؟

عادت ذاكرته له في لحظة ، فهي واقفاً ليندفع خارج قمرة
القيادة ، صرخاً :

- هؤلاء الأوغاد لن يذوقوا طعم الطعام لأسبوع و ...

وبتر عبارته ، ليحرق في سطح السفينة الخالي تماماً قبل
أن يقول :

- أين ذهب الجميع ؟

أجابته للرياح التي هبت في وجهه ، محملة برائحة البحر ،
لتنفض عنه دهشته ، ولتعيد إليه ثورته ، فانفجر بها صرخاً :

- أين أنتم أيها الأوغاد الحمقى ؟

ويخطوات واسعة اتجه إلى السلم ، الذي يقود إلى الأسفل ،
حيث عنابر النوم ، وقد عبثت شياطين الغضب بعلامحه ، وفي
نبرة صوته التي خرجت هادرة :

- تنامون حتى الآن يا أبناء الملاعين !

وضرب باب الغبر ، بركلة عنيفة فتحت على مصراعيه و ...
و ...

واخترقت الرائحة الشنيعة أنفه لتجعله يتلعها مع باقي
جملته ، فأغمض عينيه مترجعاً ثم فتحهما ، و ...

- هل أهذى ؟

لكن الرائحة المخيفة التي تصاعدت من جثث طاقمه ،
لقد بينت تأثيرها عبر الغبر أخبرته أنه لا يهذى ...

بل جن !

إن ما يراه الآن هو الجنون بعينه ..

والدقيقة كاملة تصنم فيها جسده ، وتحجرت عيناه على
المشهد ، أخذت صور عيدة تخرق مخيلته كضربات سكين ..

محيط .. رحلة .. خمر .. سطح خال .. رائحة .. جثث ..
جثث كثيرة ...

طاقمه كاملاً ...

ورغمًا عنه أخذ يتراجع إلى الوراء بخطوات خفيفة .. ثم أخذ يضحك ..

يضحك .. يضحك .. يضحك ..

عاد إلى قمرته وضحكاته الجوفاء تحملها الرياح إلى حيث لن تعود ..

يضحك ثم يمسك بالزجاجة مرة أخرى ..

ثم ...

عندما استيقظ هذه المرة ، كانت زجاجة الخمر شبه الخاوية لا تزال عالقة بيده ...

وللمرة الثانية أخذ يحدق فيما حوله ذاهلاً ، قبل أن يجرع ما تبقى في الزجاجة مرة واحدة لتعود إليه ذكريته كاملة ..

إنه الآن في سفيلة في قلب المحيط ، وحيداً بعد أن ذهب طاقمه كله إلى الجحيم ...

مرحى .. على الأقل لن يلقى بشأن الطعام .. إلا لو كان هؤلاء الأوغاد قد ملئوا به أجوافهم قبل أن يموتوا تلك الليلة الجماعية المبهرة ..

لا بأس .. لا بأس .. على الأقل إنه يظهر الآن بالهنووووء ..
« أين القبطان ؟ »

نوى الصوت من خارج قمرة القيادة ، لتتحطم زجاجة الخمر ، لتنتثر من يده ، ولتتحطم فكريته عن الهدوء وعن ...

« لقد اختفى القبطان .. تخلى عنا ذلك الوغد ثاقبة .. »
وعن الموت ..

إنه .. طاقمه .. الذي .. مات !!

وماخوذاً قام من مكانه ، ليخرج من قمرته ، متجهاً إلى غير النوم الذي استحال إلى مقبرة جماعية ، ليشاهد الهول بعينه ..

فأمامه كانت الجثث المشوهة في أماكنها ، وقد وقف إلى جوار كل جثة شبحها ...

طاقم كامل من الأشباح !

واقترع الكلمات من حلقة ، ليقول :

- لقد جننت .. نعم .. جننت ..

لكن الجنون كان أبعد من أن يناله ، فالأشباح التي بدت وكأنها لم تره واصلت :

- ما الذي سنفعله إذن ؟

- سنواصل بدونك .. لا حاجة لنا به ..

- عظيم .. من .. سنذهب لـ ... لنواصل بمفر .. رننا ..

خرج صوته هذه المرة مبحوحاً لفرط انفعاله :

- أنا هنا ..

لكن أحداً من الأضياع لم يعرفه قتباهها .. بل خرجوا من العنبر ، ليصعدوا مازين على قيد سنيتمترات منه دون أن يعرفوه أنني اهتمام ..

فقط تركوه وحيداً مع جثثهم ، التي لم تقل راحتها شناعة عن ذي قبل ...

مهلاً .. لماذا لا يكون هو الشبح ؟

وماذاً عن السفينة التي لا تتحرك ؟؟

وماذاً عن تلك .. تلك الرائحة الشنيعة التي تكاد تستزع روحه بحق ؟؟

« هيه وصلنا يا رجال .. »

« مرحى .. لنهبط إن .. »

أتاه صوت الأضياع ليجمد الدم في عروقه ..

ولن .. لنهبط ! عن ماذا يتحدث هؤلاء الحمقى ؟؟

واندفع ليصعد إليهم ، ليجدهم يهبطون ثقية دون أن يعرفوه قتباهها .. كالعادة .. وقد حمل كل منهم معولاً ، لا يعلم إلا الله من أين أتوا به ، ولحدهم يقول :

- هيا .. سنهبط الآن ..

ورفع معوله بحنكة ، ليهوى به على قاع السفينة لتنفجر مياه المحيط إلى الداخل ..

وبرعب صرخ هو :

- ما الذي تفعلونه أيها التصاء ؟

لكن المعول الثاني هوى لتندفع المياه أكثر وأكثر ...

ثم هوى المعول الثالث والرابع ، وتصاعدت مياه المحيط لتضرب القاع ، وتصل في سرعة إلى ساقبيه ...

صرخ مجدداً حتى نفرت عروقه :

- توقفوا أيها الملاعين .. ستغرقون السفينة ..

لنقلت أقرب الأضياع إليه بقة ، ليقول بصوت لا يمت لعالم البشر يصلة :

- أعرف .. ستغرق معنا ..

تسمر في مكانة لحظة ، شعر فيها ببرودة مخوفة تنلج روحه ،
وبرغبة قاهرة للتقيؤ . ثم اتخذ قراره فجأة ..

اندفع يحدو إلى السطح مردداً من بين لهذاته :

- يجب أن أخرج من هنا . يجب أن أخرج من هنا .

لكنه توقف أمام مشهد السيران ، التي غطت سطح السفينة ،
عاجزاً عن التفكير ..

إنها لحظة الحقيقة كما يقول الإنجليز .

لقد أجاد الأشباح اللعبة حقاً ..

لكن فكرة الفرار مع السفينة ، ومع طاقم من الأشباح ، دفعته
لإلقاء نفسه وسط النيران ، ليعود صليحاً ...

- هذا جنون .. جنون .. جنون ..

وألقي بنفسه من السفينة ، ليتوص في قلب المحيط .

« مرت عشر سنوات على ما حدث .. »

قالها بصوت مزقت نبراته الشيوخوخة ، للطفل الجالس أمامه ،
في ذلك الكوخ الخشبي ، قبضاً بيده على كوب من شراب ساجن ،
رشف من رشفة ، ثم قال :

- لمت أرى كيف نجوت بعد هذا .. كل ما أذكره أنني
كنت أحارب ، للبقاء على سطح الماء ، أشاهد بعيني سفينتي
تحترق ، وتغرق ، ثم اتهمتني سفينة أخرى بعد ذلك ، حيث
بدأت أستوعب ما حدث ...

سأله الطفل بنهضة ، وعياه تلمعان ..

- جدى .. قلت لى إتهم قالوا بك تخليت عنهم ثاقية .. كيف ؟

تدفقت الدمرة في صوته ، وهو يجيب :

- كنت مدمناً للخمر حينها ، لذا لم أذكر ما حدث قبل موتهم ..
إيه طاعون .. لقد أصيبوا بالطاعون قبل موتهم ، فخلعت عنهم
وأغلقت على نفسي قسرة القيدة ومعنى الأمصال الوافرة .. كنت
أخشى العدوى ، والخمر كانت قد ذهبت بعقلي .. وإذ عادت
لأشباحهم ، كنت تبغى الانتقام ، بتلك المسرحية التي مثلوها ..

لحظة صمت ثم أرفف :

- صحيح إبنى نجوت من انتقامهم يوماً . إلا أنهم تركوا لى
عقاباً قاسياً ..

ورفع عينيه لينظر إلى طاقم الأشباح ، الذى وقف خلف
الطفل رامقين إياه بقسوة ، ليقول :

- إبنى أراهم طيلة الوقت وحدى .. إتهم هنا ..

في الغرفة المغلقة

جذب عدة أنفاس من غليونيه ، قبل أن ينثر الدخان في
سماو الغرفة ..

ثم التفت إلى الطبيب الشاب الذي يرمقه طيلة الوقت
باتهار ، ليقول بنهجة عملية بحة :
- هل أنت مصعد ؟

- نعم يا سيدي ..

- إذن هيا بنا .

وتطلق يتبعه ذلك الطبيب الملبهر ، إلى أكثر الأماكن رهبة في
هذه المستشفى ..

المشرحة ، حيث قضى أكثر من نصف عمره .

ربما عمره كله ، لم يعد يرى .. حياته كلها دائرة من النوم ..
الاستيقاظ .. الطعام .. المشرحة .. المائدة الرخامية الباردة ،
تحمل له جسداً ساكناً ووجهاً يحمل عظة الموت وقصوته ..

ربما كان هذا الطبيب الشاب ، أول من يصحبه في عالمه
للبارد الخلو .. إنه يريد أن يتعلم ، فليمنحه ما يريده إذن ..

وما إن جمعتهما الغرفة الباردة ، حتى التفت إلى الطبيب الشاب
ليقول :

- أهى أول مرة لك ١٩

- نعم .. نعم يا سيدي ..

مرحى .. ها هو قد بدأ يتوتر ، نون لن يرى الجنة حتى .. من
الفضل له ألا يفقد وعيه وإلا .. وإلا سيضيع هذا ولكنه بلا ظلل .

لمسك فمك على المنضدة ، ليقراه بعزبه لحظة ، ثم قال :

- حسن .. لدي فتيلة في غرفة مغلقة من الداخل .. ما هي
الاحتمالات التي نملكها إذن ؟

تطلق الطبيب الشاب بجيب ، كأي طالب نجيب :

- تسمم أو اختناق أو انتحار ..

- عظيم . دعنا نستبعد التسمم والاختناق ، فهي لا تحمل أعراض
كليهما .. ما المتبقى إذن ؟

- الانتحار ..

ليتمسك اهتمامه جتبية ، وهو يتجه إلى المنضدة الرخامية ،
ويضع الغطاء الموث ببقع حمراء طازجة ، قاتلاً :

- إن هذه هي أول حالة فتحلر بفصل الرأس عن الجسد ..

وعلى عكس ما توقع تعلمنا ، تقرب الطبيب الشاب من المنضدة متلخصاً الجثة مقطوعة للرأس ، باهتمام فضولى ، ثم بدأ يقول بصوت خلا تماماً من التوتر :

- فشى ببضاه فى العقد التلى من عمرها .. لرأس مفصول عن الجسد بأداة حادة . شديدة الحدة فى الواقع ، فلم أر فى حياتى قطع له هذه الحواف .. ربما كفت الأداة المستخدمة سيفاً ، لو فلنا ..

- عظيم .. ليست ضحية فتحلر إذن ؟

- لا أستطيع الجزم بهذا الآن ..

أصابته إجابة الطبيب الشاب بالتضيق ، فقرر أن ينهى هذا الجدل ، قائلاً :

- دعنى أمتحك للصورة كاملة إذن . لقد مكثت هذه الفتاة فى غرفة مغلقة ، حين لاحظت أختها للدماء المنهمرة من أسفل باب الغرفة .. طرقت الباب كثيراً قبل أن تبدأ فى الصراخ .. وحين اقتحم الجيران الغرفة ، واستدعوا الشرطة بعد ذلك ، كانت المجزرة التى رآوها ، تحمل لهم ألف سؤال .. وصمت لحظة ليعيد إشعال غليونه ، وينثر المزيد من الدخان ، قبل أن يتابع :

- لقد كان كل شيء محطماً فى الغرفة .. بل منسوقاً وكلما انفجرت قنبلة فى المكان .. أما هى ، فكثت تسبح فى بركة هائلة من الدماء ، وقد ألقي أحدهم رأسها فى ركن الغرفة .. النافذة الوحيدة فى الغرفة مكثت مغلقة من الداخل ، وكذلك باب الغرفة .. ولم يكن لميفك الحد هذا أى وجود ..

ظل الطبيب الشاب جليداً يرهة يفكر ، قبل أن يقول أخيراً :

- كيف خرج القتل إذن ؟

منحه هو مزيداً من دخان غليونه ، دون أن يجيب ، فكرر الطبيب للشاب :

- هل تعرف كيف ؟

ها هو يقوده إلى الفخ ، بعد أن فتح هو بابهُ بنفسه .. فليدخل إذن لو ..

- لنبدأ بفحص الجثة أولاً .. هذا هو عملنا ..

- أعرف له عملاً .. لكن لماذا لا نضفى عليه القليل من المتعة ؟

لا مناص من الفخ إذن . ليلقى له بالكرة إذن .

- ما الذى تعتقده بالضبط ؟

- أن القتل عبقري ..

- أصنعت .. لنبدأ عملنا إذن !

لكن الطبيب الشاب بدا مصراً ، وهو يتابع :

- المشكلة الآن تكمن في ثلاث نقاط ، وهي كيف ندخل إلى الغرفة ؟ كيف قتل الفتاة وحطم الغرفة ، دون أن نسمع أختها أى شيء ؟ وكيف خرج في النهاية ؟

أجابته هو بنفاد صبر :

- إجابة السؤال الثاني أن أختها كانت في الخارج حينذاك .. أما الأول فلا يهم .. كل القتل يستطيعون الدخول دائماً ..

- ماذا عن الثالث ؟ كيف خرج ؟

لا مفر إذن ..

هذا الوغد سيجعله ينطق بالكلمة التي ظل أكثر من عشرين عاماً يحاول تجلبها ..

- لا أدري ..

قالها بالقتضاب .. بفضب .. بفشل .. بخجل ..

- لنحاول أن نعرف إذن ..

هتف بعصبية :

- كيف ؟

أجاب الطبيب الشاب بحماسة :

روايات مصرية لتجيب .. (عقم آخر)

٢٧

- دعنا نستعيد ما حدث عالياً .. هل بقايا الحطام موجودة هنا ؟

- نعم ..

- عظيم ..

قالها واتجه إلى باب المشرحة ليخطفه من الداخل بإحكام ، ثم تابع وعينه تلمعان حماسة :

- والآن نحن في (غرفة مغلقة) تماماً كما كانت هي .. أين بقايا الحطام ؟

أشار إلى مجموعة من الأكياس ، موضوعة على الملضدة ، دون أن ينطق ، مراقباً إياه بعينه ..

لما هو فلماذا يتفحص بعناية ، ونعثر بقلبي كاملة ، قبل أن يقول :

- والآن دعنا نتخيل المكان .. لقد كان السرير هناك في الركن الأيمن من الغرفة على سبيل المثال . والغرفة مضاعة بمصابيح النيون ، وثمة مرآة ذات بروز خشبي على الحائط ، وخزانة ملابس قرب السرير .. لقد كانت هي تجلس على السرير لوانعمة عليه حين نزل القتل . لا يهم كيف ظهر كما اتفقنا من قبل . السؤال هو : هل قتلها على الفور ؟

- لا أعقد هناك جروح قطعية في باطن الكفين وفي الفراعين .. إنها جروح مقاومة على الأرجح .

- هذا يعنى أنها كانت مستيقظة حين ظهر ..

تصلل للحملين إليه نوعاً ما ، ففحص الجثة بعينه ، قبل أن يجيب :

- ثمة خدوش وشظايا زجاجية ، تركت جروحاً (ما قبل الوفاة) - أى إنه حطم الغرفة ، قبل أن يقتلها ..

- عظيم .. لماذا ؟

- ليخفى الأدلة على الأرجح ..

- لا أعتقد .. كان ليفعلها بعد قتلها ، لو أن هذا هدفه ..

- لماذا إذن ؟

- لا .. أدري ..

الآن لتعادل الكفتان 1

لقد منحه عجز الطبيب الشاب ، شعوراً عارماً بالراحة ..

- دعلى ألقى نظرة على البقيا أولاً ..

وأخذ يفحص البقيا ، بعينين تحملان عشرين عاماً من الخبرة ، وإذا اعتدل أخيراً ، قال :

- هل تصابحت عن سر وجود هذه ؟

ألقها ورفع بين أصابعه بقايا شمعة سوداء ، حدق فيها الطبيب الشاب باستغراب قبل أن يقول :

- لم ألق كثيراً عندها . ربما استخفمتها لأن التيار الكهربى انقطع لو ...

- لو كان التيار الكهربى قد انقطع لفتحت النافذة ، هذا هو رد الفعل الطبيعى لأى امرأة . ثم لماذا تحضر شمعة وتشعلها ثم تطفى الباب والنافذة عليها من الداخل ؟ ألا تجد هذا غريباً ؟؟
- بالطبع .

- ثم هناك هذه البقيا الورقية .. هل لاحظتها ؟ لقد مزقها أحدهم بعناية فائقة ، وبعضها يحمل دماء جافة ، بالتأكيد دماء قضحية ، لكن هل جاءت هذه الدماء قبل أم بعد قتلها ؟

عد الانبهار إلى عيني الطبيب الشاب ، وهو يقول :

- وما المكتوب فى هذه الورقة ؟؟

- دعنا نجعلها لنرى ..

وعلى الرغم من أن عملية جمع البقيا الورقية ، كانت مرهقة ومملة ، إلا أنه كان يشعر بنشاط غير عادى لأورثه إياه الحمل فى عيني الطبيب الشاب ، والرغبة فى معرفة ما يحدث ..
لو ما حدث بالفعل ..

فى الغرفة المظلمة ..

« هل تفهم شيئاً من المكتوب 11؟ »

قالها الطبيب الشاب بعد نصف ساعة ، قضياها فى جمع الورقة ، ليحدثا بعد ذلك فى الرمز الغريب الذى قرأصت أسطله كلمات بلغة أغرب ، وقد أخفت آثار الدماء للجافة ، معظم الحروف لتزيد الأمر تعقيداً ..

ولم يملك هو نفسه من الانفجار صائحاً :

« لا أعرف ما هذا .. لقد ملكت هذا كله .. نحن نضيع وقتنا بلا طائل .. ربما لم تكن لهذه الورقة علاقة بالجريمة أساساً .. لنترك للشرطة مهمة العثور على القتل ، ولننته نحن من ... »
« مهلاً .. لقد نمينا الشمعة »

قاطعه الطبيب للشاب بهذه العبارة ، ثم تناول الشمعة بلهفة ، وأخرج عتبة ثياب من جيبه ، أشعل بها بقايا الشمعة السوداء ، قبل أن يثبتها على المنضدة أمام الورقة ، ويقول :

« اعتقد أنه يجب أن نطلق المصباح ..

ودون أن ينتظر رده كان قد ضغط على الزر بالفعل ، ليهوى الظلام على المكان إلا من ضوء الشمعة المترافض ..

« لكن ينتهى هذا السخف 1؟ »

« لحظة أرجوك ..

صمت منتبهاً إلى حقيقة باللغة الأهمية .

لواله يستطيعوا تفسير ما حدث ، ستكون هذه هى أول جريمة كاملة تمر عليه فى تاريخه كله .

الجريمة الكاملة التى ظن أنها خرافة لا وجود لها .. عنقاء للطب لشرعى كما اعتاد أن يسميها . وها هى الضفء تلفض رمداها وتعلن عن مولدها ..

لا ..

هناك حل حتماً .. بالتأكد هناك حل ..

لقد اعتاد أن يلعب لعبة الاختلافات العشرة حين كان صبياً ، وكثيراً ما كان يتوقف بعد الاختلاف الرابع أو الخامس ، ليشرح على نحو يقينى أنه لا يوجد سواها ..

لكنها كانت هناك .. دائماً كانت هناك 11

الآن لينب اللعبة بصورة جديدة .. صورة فريدة من نوعها ..

على اليمين صورة فتاة تجلس فى غرفتها ، تقرأ على فرشها .. وعلى اليسار صورة الغرفة المحطمة ، والفتاة جثة تمسح فى النماء ، رأسها فى ركن الغرفة 1

أين الاختلافات العشرة إذن ؟

المرير لم يعد موجوداً .. واحد ، المرأة تحطمت .. اثنين ،
المصباح تحطم ثلاثة ، خزنة الملابس تحولت إلى شظايا ..
أربعة ، الرأس في ركن الغرفة .. لم يكن مكانه هناك ..
خمس ، عظيم لقد اقترب .. الدماء في كل مكان .. ستة ، ماذا
لربنا ؟ آه .. الورقة المعزقة . مبهمة ، والشمعة السوداء ..
ثمانية ، والمفتاح .. تسعة ...

المفتاح !

المفتاح ! المفتاح ! المفتاح !

لقد أغلقت الغرفة من الداخل ، كما قلت الأخت ، فلن المفتاح إذن ؟
وقد فوجئ بجسده تجاه المنضدة ، التي تحمل على سطحها بقايا
الحطام ، في تلك الأكياس البلاستيكية ، ليبدأ في فحصها بلهفة
أفقدته صوابه ..

« وجدتها ! »

هتف بها الطبيب الشاب بغته ، وقد التفت عينا بنظرة
عجيبة ، أرغمته على التحديق فيه بدهشة ، والطبيب الشاب
يوصل ، موجهاً حديثه إلى الفراغ :

- الجروح القطعية في بطن كفيها لم تكن جروحاً دفاعية ..
هي أحدثتها بنفسها - هي أسالت دماؤها على الورقة .

ثم وجه كلامه إليه فجأة ، متمسلاً بلهفة مجنونة :

- أين مشرطك ؟ ... ناولني إياه حالاً .. لا .. لا داعي .. ثمة
واحد معي .. ها هو .

وأخرج **المشرط من جيبه** .. حتى فيه لحظة على ضوء الشمعة ..
ثم .. وبلا تردد .. شق بطن كفه ، لتسيل منه الدماء على الورقة ..
« هراء .. هراء . كل هذا هراء .. لا توجد جريمة كاملة »

صرخ هو بهذه العبارة بمزيج من الانتصار والعصبية
والشعور بالخلوص ، ثم تابع :

- دعك من هراءك هذا .. إنها ليست جريمة غرفة مطقة ،
فالضحية لم تغلق الباب على نفسها من الداخل .. للمفتاح لم يكن
معها .. ليس موجوداً ضمن البقايا .. كل هذا كان بلا طائل .

فجاء ذلك الصمت الذي أجاب به الطبيب الشاب ، وتلك
المنظرة العجيبة في عينيه ..

- أجب يا هذا .. لقد انتهى الأمر ..

كررها وأخذ يحق في الطبيب الشاب الذي همس فجأة :

- لقد .. فهمت .. ما في الورقة .. لقد أخطأت هي .. ونحن
كررنا الخطأ .. بالناس من حمقى .. لقد استحصرونا ..

صرخ هو بحصيبة :

- اتس هذه الورقة .. لقد انتهى كل شيء .. لقد ..

لكنه بتر عبارته ، ليطلق شهقة فزع هائلة ، حين طار رأس الطبيب الشاب بفتة ليسقط في ركن الغرفة !

والحظة ظل الجسد واقفاً بلا رأس ، ثم هوى دفعة واحدة للتوى للطرقات .. طرقات بدت وكفها لألاف المطرقي ، تهوى على كل شيء في المشرحة محيلة إياه إلى حطام متناثر ..

وأمام عيناه الجاحظتان بهلع ، أخذ كل شيء في الغرفة يتطاير ويتحطم و ...

وسقط المفاتيح وسط الحطام المتناثر تحت قدميه ..

وفهم كل شيء ..

فهم في تلك الثانية قبل أن يظير رأسه من على جسده !
في الغرفة المظلمة !

طرقات

لكني لهذا لم أجرق على اللزول إلى الأسفل .

لا أحد في مكاني كان ليجرق !

وحيداً كنت منذ نشأتى .. منذ ولدت .. بل منذ استضاف جسدى
روحي في رحم أمي ..

شيء واحد لم أفهمه منذ ولدت ويبدو أنني لن أفهمه أبداً ..
لماذا يوجد آخرون ؟

ألا يمكن للإنسان أن يكون وحيداً قط ؟

طبعاً لكم أن تتخللوا محاولات أمي للبأسة لتغيير هذه الفكرة
للمجنونة في ذهني ، ولكم أن تتخللوا أيضاً ردودي حين كنت
طفلاً يظن أن أحلامه قابلة للتنفيذ لو أعلن هذا ..

- الآخرون موجودون ؛ لأن الله خلقهم ..

- لماذا ؟

- لنكون معاً .. لا يمكن أن تعيش بمفردك .

- لكني أريد أن أحيأ وحيداً ..

- حين تكبر مستدرك أن هذا مستحيل ..

لكنها كانت مخطئة ..

كانت أمي هذه الوحيدة التي استطعت تحملها من الآخرين لكنها الآن تركت عالمنا وتركت لي الآخرين .. لكنني استطعت أن أخلق لنفسى عالمى الخاص . ولن أكون وحيداً ..

إن أطير عليك ، لكنني نجحت بميراثى فى شراء منزل منعزل فى المقطم ، وكان من حظى أن مهنتى لا تتطلب اختلاطاً بالآخرين .. وبالطبع لم أتزوج ولن أفعل !

منذ متى بدأت المشكلة إذن .. أه .. منذ أسبوعين .. ربما ثلاثة ، لست أذكر ، كنت حينها أتناول طعام الغذاء الذى يهتبه وأنا عائد من العمل عندما بدأت الطرقات !

ولكن دعنى أصف لك القيل لولا لتتخيل المشهد معى . طابقان .. الأسفل به درجته وغرفة مكتب والملحقات ، والطابق العلوى لغرفة النوم ، وغرفة أخرى مغلقة ، أرجو أن تبقى مغلقة هكذا إلى الأبد ، وأخيراً قبو رطب مظلم لا أستخدمة عادة يقود إليه باب خشبى مغلق من الخارج ..

وعندما نوت الطرقات أول مرة ، دوت على هذا الباب بلذات .. ومن الداخل !

بالطبع احتبس الطعام فى حلقى ثم أخذت أسفل حتى سمعت عرناء ، وعندما استطعت التنفس أخيراً ، كان الخاطر الوحيد فى ذهنى هو .. إذا كان القبو خالياً من الداخل ، والباب مغلق من الخارج ..

فمن .. الذى .. بطرقى .. عليه .. من الداخل ؟

وكما بدأت الطرقات فجأة انتهت فجأة .. لكن صداها تتردد فى أذنى طويلاً ..

ثم لم ألبث أن انتهت لتسامة من يحدث نفسه ، وأقترعتى أن وحدتى بدأت تصيبنى بالهلوس ، ثم واصلت تناول طعامى بهنوء ..

على الأقل للطرقات لم تتكرر فى هذا اليوم مجدداً ..

لكنها تكررت بعد ذلك .. وكانت مختلفة حينها ..

* * *

تكررت الطرقات بعد يومين .. لا .. ثلاثة أيام ..

نعم .. بعد ثلاثة أيام ..

اليوم الذى تشاجرت فيه مع ذلك الأخرق الذى صدم جانب سيارتى بسيارته .. من المؤكد أن هذا (الشىء) لم يحصل على رخصة قيادته إلا بمعجزة أو وساطة ، والاحتمال الثانى هو الأقرب فى بلد تحلوا من المعجزات ..

المهم .. أتذكر أنني عدت إلى منزلي مكدرًا ، إلى وحدتي الخالصة بعيدًا عن كل الأوغاد الذين يقوبون سيارتهم لمجرد أن يصطدموا بي ، وبعد أن قتهبت من طعامي دون طرقات هذه المرة ومن بعض الأعمال المعتادة ، صعدت إلى حجرة نومي وبدأت في ممارسة طقوس قراءة ما قبل النوم ..

وكانت الساعة الحادية عشرة مساءً عندما عادت الطرقات ثانية .. لكنها كانت مختلفة هذه المرة ..

كانت قوية بحق .. مخيلة كالموت .. وثقة كالقدر ..

أتذكر أنني انتفضت في فراشي هلعًا ، قبل أن أتمالك نفسي لأهرع إلى الأسفل ، متمنيًا أن تكون هذه الطرقات على باب انفيلا ، لا باب القبو ..

لكنها كانت من داخل القبو .. حيث من المفترض ألا يتواجد أحد ..

ولخمس دقائق وقفت أرثجف عاجزًا عن فهم ما يحدث ..

الحل الوحيد هو أن أفتح الباب وأنزل إلى القبو ..

لكنني أبدًا لم أجرؤ على النزول إلى أسفل !

إن أي لحقي يدرك أن الموضوع ليس موضوع نص أو هلاوس !

إتباع طرقات شخص يريد أن يخرج ..

يخرج !!؟

من .. بل .. ما الذي سيخرج !!؟؟

أصبحتي الفكرة بهنق لا أحد له ، حتى إني تراجعت غريزيًا إلى قوراء مع دوى الطرقات وقد توصلت إلى أنه شيء واحد لا ينبغي عليّ فعله أبدًا كان الثمن ..

لا يجب أبدًا ومهما كان الثمن لن أفتح باب القبو .. أبدًا ..

منحلي هذا القرار قدرًا من الشجاعة ، بما يكفي لأعود إلى غرفتي حيث سيُظاهر بالنوم حتى تنتهي هذه الليلة .. ليطلق من بطرق كما يشاء له ، فلن يؤثر هذا على قرارى أبدًا ..

وهكذا استمرت الطرقات بإيقاعها الرتيب المخيف لنصف ساعة ثم توقفت فجأة ، كأنما أصاب صاحبها الملل ..

عندئذ استطعت أن أنام .. كانت هذه آخر مرة استطعت فيها النوم !

الطرقات لم تسمح لي بالنوم بعد ذلك قط ..

لقد بدا الأمر وكأن صاحب الطرقات يراقبني ، يعرف متى أذهب إلى النوم .. ثم يبدأ في بطرق المجنون على كل شيء !!

نعم .. كل شيء !! .. !!

لم يعد الأمر يقتصر على باب القبو ، بل شمل الجدران والأسقف وزجاج النوافذ والأرض كل ما يمكن للطرق عليه أو حوله .. كل شيء .. وكلما أصبحت الفيلة عتبة صغيرة يهوى عليها طفل مجنون بمطرقة ..

بالطبع جرئت كل شيء بدءاً من دس ومسللة في لثني ، وحتى الأقراص المنومة ، لكن صاحب هذه للطرق لم يكن يرحم . لقد كان يريد الخروج وبأى ثمن !

وببطء واثق بدأت أدخل مرحلة (فليكن ما يكون) .. تلك المرحلة التي تتخذ فيها أغهى قرارات حياتك على الإطلاق ، والتي لم تكن لتتخذها لو كنت تحظى بالتفكير الكافي من النوم أو الطعام ..

لكنني لم أتم منذ أربع أيام حتى الآن ، ومصاب بالجنون مستمر هذا الوضع ، وبما أن ترك المنزل ليس من الخيارات المطروحة أمامي ، فالتحيز الوحيد الذي أملكه إن هو أن أدخل بنفسى إلى القبو لأرى .. لأفهم . وليكن ما يكون ..

كان الوقت صباحاً حين قررت فتح القبو إذ لم أكن أحمق لأفعلها ليلاً ..

في يدي حملت كشافاً يدوياً ، وفي يدي الأخرى قبضت على سكين ضخمة ، كمسلاح للضرورة ثم توجهت إلى باب القبو ..

أزحت المزلاج .. لملمت شجاعتي ونفقت الباب ، ليرسم ضوء لكشاف الشاحب طريقى أمامى ..

السلام للخشبية . الجدران العتيقة .. شبك العناكب التي ارتجفت من الهواء الذى التحم للقبو أخيراً ، وأنا أقف أمام كل هذا ألقوم رغبتى فى الهرب .. يجب أن أفهم .. يجب ..

إن كنت أريد أن أتناول طعامى فى هدوء .. أن أقام مجدداً .. أن أظفر بوحدة التي حاربت من أجنها طويلاً .. يجب أن أرى بنفسى مر هذه الطرقات ..

وهكذا اتخذت طريقى إلى أسفل متمللاً عما ينتظرنى ..

لا شيء .. كل ما أظهره لى ضوء الكشاف هو قبو خال رطب به خزنة حديدية ، كنت أنقبتها فيه منذ أن جلست هنا .. هذا نللك .. لا شيء ...

للتيت نظرة أخرى على المشهد أمامى ثم أعدت ضوء المصباح على الخزنة الحديدية مجدداً ، ثم انقضت منها .. نزلت على ركبتى . عبثت قليلاً فى القفل ثم .. ثم اخترقت الرقعة الشنيعة مسلم أنفاسى كالسهام .

يا إلهى !!

كان يجب أن أضع هذا الرأس الأدمى فى الفورماقين !

وأمام الرأس المقطوعة في الخزانة بدأت ومضات من
الذكريات ، تومض في مخيلتي التي غلبها الأرق ..

أنا أقود سيارتي عائداً إلى المنزل .. الوقت متأخر ، أقوم
النعاس .. أقوم إلا أنام وأنا أقود .. أقوم إلا أصطدم بهذه
السيدة التي تعبر أمامي ..

ولكنني استيقظت على صوت اصطدام سيارتي بها قبل أن
تظهر من أمامي تاركة بقعا من الدماء على الزجاج ..

أذكر أنني لم أصب بالهلع حينها .. بل كنت في حالة من
الصفاء الذهلي التي سمحت لي باتخاذ القرار السليم .. أنا لن
أطع حياتي ثمناً لواحد من (الآخرين) .. لهذا ..

الحل هو الهرب دون ترك أدلة .. الطريق لا يستخدمه أحد
عادة ، مما يمنحني بعض الوقت ..

وهكذا خرجت من السيارة .. تأكدت من أن السيدة التي
صدمتها قد نفلت أنفاسها ، ثم أفرغت حقيبتها وجيوبها من
أي شيء يدل على هويتها . ثم تبقي شيء واحد ..

التخلص من أهم شيء يدل على هويتها .. رأسها !!

وعندما استقر الرأس أخيراً في حقيبة سيارتي أدرت أنني
قد أخفيت جميع الأدلة .. جثة بلا رأس قد تتير ألف تسؤل
وإحتمال ، إلا أن تكون حادثة طريق عائلية .

مبطل هذا الرأس معي حتى أنسى كل شيء عنه كعائتي ،
لكنني لو تذكرت مأسفته في مكان ما ..

كان هذا منذ سنوات .. والخزانة معلقة وبها الرأس منذ
ذلك الوقت في القبو ، فما الذي استجد هنا ؟؟

إن الأمر .. مهلاً . لقد تركت باب القبو مفتوحاً ورائي ..
صالحاً بخروج أي أحد وإي شيء !

انقضت لأتفأفأ على المسالم الخشبية ، خارجاً من القبو
لأغلق بابه خلفي بإحكام ..

حسن .. إن الأمر لا يحتاج لتفسير الآن .. إنها روح السيدة
التي أملاك رأسها في قبوي !

لا أدري ما الذي أخرجها طينة هذه الفترة ، لكن لا بأس ..
إنه حقها على أية حال ..

ومع إراكي لهذا كله ، تخلصت من حالة الهلع ، وعاد لي
صفاء ذهني ..

وبمنتهى الهدوء ، اتخذت القرار السليم ..

القرار الوحيد في الواقع ..

كان الوقت ليلاً هذه المرة ..

وكنت أحمل هذه المرة إلى جوار الكشاف والمكين دنواً كبيراً
ممتلئاً بالبنزين ..

هذه المرة سأخلص من الآفة نهائياً ..

وبعد وثقة فتحت المزلاج ثم دفعت الباب ، لتهب الرائحة
الشنوعة في وجهي لا بد أنني نسيت باب الخزنة الحديدية
مفتوحاً ..

وبذلك التفت نزلت على الدرجات الخشبية .. ما هي إلا دقائق قليلة
وسأعلم بعدها بالوحدة مجدداً . ها هي الخزنة الآن أمامي ...

انقربت منها وسندت ضوء الكشاف ليها مقلوماً غشائياً و ... و ...

وأين ذهب الرأس الذي كان في الداخل ؟؟؟

الطرقات !!

يا إلهي الطرقت .. لم يكن صاحبها يبغي الخروج من القهو ،
بل كان يريدني أن أدخل !!

ودوت تلك الخطوات الثقيلة خلفي لاستدير في هلع ، تاركاً الدلو
يسقط من يدي ، نثرًا البنزين في كل مكان ..

وأمامي كان شبح السيدة يقف على عتبة المسلم ... شبح بلا
رأس ينظر إليّ بحقد بلا عيني

هنا لم أملك نفسي فتدلت الصرخات الهستيرية من
حلقى لتردها جدران القبو كضحكة عابثة ..

تقدم شبح السيدة خطوتين تجاهي ثم اختفى !

للحظة التمتعت الأرض بوميض عجيب ، ثم بدأت زهرة النار
الأولى تنبت في الأرض المشبعة بالبنزين .. تزدهر . تنتشر ..

لحظت وتحول المكان إلى أتون ملتهب ، فكتمت أنفاسي ،
واسرعت متجهاً إلى سلم القبو لأبدأ في الصعود و ... و ...

وكانت هي تنتظرني أعلى السلم .. حاملة رأسها المخيف
بين يديها .

وهكذا توقفت أنا عاجزاً عن التفكير أو الحركة ..

مدرعاً أنني لهذا لن أجرو على الصعود إلى أعلى !

الآن لم يبق من هذا كله إلا أنقاض منزل محترق ، وعمال
إنقاذ يرفعون هذه الأنقاض دون أمل في العثور على أحياء ..
إنهم محقون في هذا ..

لما أنا قطعني التكيف مع حيقى الجديدة كشبح !

المشكلة هنا هي أنني لست وحيداً ..

هناك (آخرون) ؟

ليلة واحدة ..

المشهد الأول .. ليل داخل

المشهد لغرفة نوم بسيطة ، يبدو عليها قلة النظافة والترتيب ، كأنما هي غرفة نوم عازب ، حيث الملابس ملقاة هنا وهناك ، وبقايا طعام جافة على المائدة جوار الفراش ، وصوت القمر القاتم من النافذة يتيح لنا رؤية هذا كله ..

يدخل الأستاذ (علاء) من زاوية الكادر ، مرتكباً ملابس النوم المعتادة ، يتأهب بعق ، ويتحرك بخطى ناعسة تجاه الفراش . يتوقف لحظة ليلقى نظرة سريعة على الغرفة ، ثم يلوح بيده بضجر ، ويكمل طريقه للفراش .. لقد اعتاد هذا المستوى من القذارة ، وحين يبلغ الأمر حداً لا يطاق ، سيرسل لتلك البديهة التي نظمت له المشقة مرة ، لتسلبه خضعة جنهت كاملة

يعلق النافذة ، وينزع الثوب المفزلى ثم يمدس تحت الأغطية الثقيلة - يبدو أنه الشتاء - ويفتح للمصباح الصغير المجاور له ، ثم يبدأ في قراءة كتاب ضخم ذي غلاف صقيل كتب عليه « الفن فى التاريخ الإسلامى » .. إنه شخص وحيد محبط إذن ..

لا أحد يقرأ « الفن فى التاريخ الإسلامى » إلا إذا كان محبطاً ووحيداً ..

يمكننا الآن أن نلقى نظرة أوضح على (علاء) .. شلج فى الثلاثينيات من العمر ، خفيف الشعر على نحوينى بصلع قدام لامحالة ، يركب نظارة ضخمة العسلت ذات إطار عريض ، بينما تبدو تشعيرات التسمية فى نقه ، كأنما مرّ عليها زمن طويل .. فى الواقع ، لو قربنا الكاميرا لزاوية فمه ، لرأينا بقايا الطعام على هذه التشعيرات . إذن (علاء) محبط ووحيد ولا يعتنى بنظافته جيداً ..

الساعة الآن لواحدة صباحاً ، ويبدو أن النعاس قد أصبح حاكم هذه الليلة ، لذا يمد الأستاذ (علاء) يده ليلقى الكتاب على المائدة ثم يعلق المصباح ، لتغرق الغرفة فى الظلام ..

تبتعد الكاميرا ببضع ، ثم تبدأ فى التحرك إلى خارج الغرفة .. إلى ممر ضيق مظلم .. ثم إلى الردهة المظلمة إلا من يصيص ضوء قاتم من النافذة ..

المشهد صامت تماماً .. ثم نسمع صوت قطرات ماء ، تصطدم بالنافذة . قطرات قليلة متباعدة فى أول الأمر ، ثم الهدير المحيف للرع ، يعقبه سيل من الأمطار يضرب النافذة بحرقة ..

ترتفع الكاميرا لتمنحنا مشهداً باتورنياً للردهة المظلمة .. ثم .. يضرب البرق بضوئه المكن ، لنتمكن للحظة من أن نرى تفاصيل الردهة ، حيث يقف هذان الاثنان !!

تفاصيل .. لية تفاصيل؟؟ إيهما يرتديان عباءات سوداء
تغطي جسديهما تماماً، وتكفلت الظلال بإخفاء ملامحهما، ثم
إن المشهد أضىء لثانية واحدة ..

بضرب البرق بضوئه من جديد لنجدهما يتحركان ..
يتحركان تجاه غرفة النوم ..

تدور الكاميرا بنعومة لتصبح خلفهما وتسير معهما مهتدية
بضوء البرق الذى يومض المكان من حين لآخر، حتى يقف
هذان الاثنان أمام فراش الأستاذ (علاء) الذى يقف فى نوم
عميق ..

يومض البرق مرة أخرى لنرى أحد الاثنين يرفع يده وبها
جسم معدنى لامع، ثم يختفى الضوء ليغرق المشهد أمامنا
فى الظلام، ثم نسمع صوت صرخة مكتومة يبدو أنها صرخة
الأستاذ (علاء)، ثم ...

ثم يسكن المشهد تماماً ..

المشهد الثانى .. ليل خارجى ..

بضىء المشهد أمامنا ببطء، لنرى أننا فى غابة ..
الغابة مظلمة وتبدو مخيفة مقبضة، مع سيل الأمطار
عليها، والبرق يلتمع ليضيف إلى المشهد كآبة عجيبة،
والموسيقى فى الخلفية متوترة، تنذر بالويل ذاته ..

تتحرك الكاميرا بنعومة تلمة وسط الأشجار والأمطار، وترتفع
تقطر إلى أعلى، ثم تهبط لترينا ذلك المشهد العجيب ..

على الأرض الطينية الغارقة فى المياه، يقف الغامضان
بثبات تام، رغم الريح الشديدة التى تعبث بحرملتيهما،
وأمامهما يتنلى الأستاذ (علاء) وقد التف حول غليظ حول
عنقه، وطرف الحبل الآخر مربوط فى جذع الشجرة .. مشنقة !!

الأستاذ (علاء) يقف على مقعد خشبى، قصير الأرجل، مكتم
لفم، ويتلوى بحذر، فى عينيه نظرة ذاهلة مذعورة ..

جسده مبتل .. كنمة فى جانب وجهه .. يذاه مقبضان وراء
ظهره .. لا يزال يرتدى ملابس النوم التى يبدو أنها لا تناسب
هذا اللطقس على الإطلاق .. كل هذه تفاصيل مهمة للمشهد ..

تقترب الكاميرا بحركة ثعلبية حتى تملأ أرجل المقعد
الخشبي القصيرة المشهد، وقبلما الأستاذ (علاء) تجاهدان
للثبات فوقهما مع تصاعد تدريجى فى حدة الموسيقى ..

فجأة ! تفتح قنم أحد القريين المشهد لتطرح بالمعقد من أسفل قنمى الأستاذ (علاء) ، فيدوى صوت تحطم فقراته العنقية كهدير للرعء ، وقد بلغت حدة الموسيقى ثروتها ..

الآن تتحرك الكاميرا حركتها الثعبانية المجنونة فى اتجاه عكسى ، لنرى المشهد الكلى مرة أخرى ، مع تغير واضح .

إن الأستاذ (علاء) قد تحول لجثة شاخصة البصر ..

ترتفع الكاميرا أكثر فأكثر .. ثم تقلم الشاشة لماننا ببطء ..

وينتهى هذا المشهد ..

المشهد الثالث .. ليل داخل ..

يفتح المشهد على وجه الأستاذ (علاء) ، لا تبدو عليه أى علامة من علامات الحياة ، بل على العكس تمامًا .. عيناه شاخصتان .. لسانه يتدلى نصفه خارج فمه .. الكدمة فى جانب وجهه تنضم لذلك الشحوب المخيف لترسم لنا لوحة وجه شخص ميت .

للكاميرا عمودية على وجه الأستاذ (علاء) لنرى أنه عارى الجذع .. تدخل يد فى قفاز أسود إلى المشهد لتكس شيئاً ما فى فمه .. تبتعد اليد ويعود المشهد لجموده بضع لحظات ، ثم يبدأ السخان فى الخروج من فم الأستاذ (علاء) !!

السخان غير كثيف ولا يحمل لوناً مميزاً ، يتوقف بعد لحظات ، ثم تقترب الكاميرا قليلاً من عيني الأستاذ (علاء) .. للحظة يبدو كل شيء كما هو ... ثمّة نرى جفن عينيهِ اليمنى يرتعش ..

ثم تبدأ عيناه فى الحركة المحمومة !!

لأياً كان ما حدث ، فلقد استعاد الأستاذ (علاء) وعيه ، وها هو يحرك عينيه فى كل اتجاه كلما يستكشف المكان من حوله ..

تبتعد الكاميرا قليلاً لنرى أنه ممد على فراش معدنى قذر ، فى غرفة ضيقة صخرية للجدران ، يتدلى من سقفها شيء أشبه بالوعاء يحتوى على مادة مشتعلة تضيء المكان بإضاءة رديئة .

وهكذا نتمكن من رؤيتهما .. رؤية الغامضين اللتين بدأ
هذا كله ..

أحدهما يقف عند ركن الغرفة أمام مائدة خشبية عتيقة ، وقد
فتح أمامه كتاب ضخيم مهترئ ، لا يمكننا تمييز ما كتب فيه ..
أما الثاني فينحلي على وعاء معدني ضخم ، وضع على حطب
مشتعل ، في شمه أشبه بالمدفأة ، وتغطي بداخله مادة ما ..

من الملاحظ أن هذا المشهد صامت تمامًا .. صامت للدرجة أننا
نكاد نسمع صوت حركة عيني الأستاذ (علاء) في محجريهما ..

المدقق في المشهد يستطيع تمييز وضع رأس الأستاذ
(علاء) بالنسبة لجسده .. يستطيع أن يميز أن هذا الوضع
مستحيل تمامًا .. بالنسبة لشخص على قيد الحياة على الأكل !!

على كل حال لنترك هذا المشهد ، ولنتابع حركة الكاميرا
التي تركز هذه المرة على الغمض الأول الذي يقرأ في الكتاب
العتيق .. الكاميرا تقف جواره ، لذا نراه يهز رأسه بفهم ، ثم
يخرج من عباءته لفافة جلدية ، يقردها أمامه على المائدة ..

ها نحن نرى بفزع ما بداخل العباءة مشروط صدئ .
يضع ستلكن غريبة للمظهر ، تحتاج إلى جراح معارض ليتعرف
على أسمائها اللاتينية ثم مسحوق في لفافة أصفر ..

يهز الغمض رأسه برضا مرة أخرى ، ثم يتناول المشروط
ويوجه به إلى الأستاذ (علاء) الذي لا يملك سوى عينية
ليصرخ بهما ..

يهز الغمض رأسه برضا مرة ثالثة ، ثم يضع نصل المشروط
على صدر الأستاذ (علاء) وبدون أن تصحب هذه اللقطة
موسيقى تصويرية - لا يحتاج الأمر لمزيد من التوتر - يجذب
المشروط على صدر الأستاذ (علاء) !!!

ثم يظلم المشهد لحسن حفظنا !!

المشهد الرابع .. ليل داخل ..

هذا المشهد والمشاهد التالية هي ما يسميه السينمائيون (فوتو مونتاج) ، أى نقاط متتابعة سريعة .. وسيكون الانتقال بين هذه المشاهد بطريقة الإظلام (Fade out) والتتوير (Fade in) ..
والآن ..

تتوير ..

الكاميرا تمنحنا زاوية لا بأس بها لنرى جسد الأستاذ (علاء) ، مصجى على المائدة ، ودماء كثيرة تسيل من تجويف ، كان صدره فى وقت من الأوقات .

إظلام ..

تتوير ..

الغامض التالى الذى كان يبحث فى قوعاء ، يضع فيه أشياء دلكنة اللون .. نحن نعرف ما هى .. فى قوعاء ، وقد تلوثت يده بالدماء ..

إظلام ..

تتوير ..

الغامض الأول ، يلق جسد الأستاذ (علاء) بأربطة طويلة من الكتان .. يحنطه فى الواقع ، ولو كان أحكم قد مارس لتحنيط من قبل ، فلا بد أنه قد فهم ما يحدث !!

إظلام ..

تتوير ..

الآن نرى أن الأستاذ (علاء) — سابقاً — قد تحول لمومياء ، لازالت عينها تتحركان بجنون !!

المشكلة أننا لا نرى من هما الغامضان بسبب تلك العباءات الموداء للعجبية هذه .. ولا نفهم لماذا يفعلون ما يفعلونه ، وما الذى يحدث هنا بالضبط .. وهذا هو السبب الرئيسى الذى سيحدثنا نواصل ..

هذا هو السبب الرئيسى الذى سيحدثنا نعرف المعنى الحقيقى لكلمة هلع !!

المشهد الخامس .. ليل خارجي ..

الآن نعود للغابة ، والكاميرا تمنحنا منظور قطار الذي يعرفه
أى رسام .. والمشهد كما تركناه منذ قليل .. حين من الأمطار ..
لرياح تعصف بالأشجار كلما ستقتنعها من جنورها .. الأرض
الطينية الزلقة ، والغامضان لا يشعران بهذا كله ، وحملان
تابوتا مغلقا اعتقد أننا نعرف من فى داخله ، ويتوقفان أسفل
جذع شجرة ضخمة فى حجم مبنى من طابقين ، ليضعها التابوت
أرضا ، ثم وبدون أن يتبدلا أى كلمة ، جنبا على ركبتيهما ،
وبدا يحفران بأيديهما فى الطين ..

تدور الكاميرا حول المشهد ، ليملا جذع شجرة المثبثة
أمامنا للحظات ، نعود بعدها إلى الغامضين ، لنجدهما يخرلان
التابوت فى الحفرة ، وهو تكنيك سينمائى نكس لتجنب إضاعة
الوقت .. بعد هذا تواصل الكاميرا دورتها ، ويختفى المشهد
مرة أخرى خلف جذع شجرة أخرى ، ونعود للمشهد لنجد أنهما
يقفن أمام القبر الذى انتهيا منه ، والأمطار الغزيرة تفصل أى
أثر لما حدث على السطح ..

لقد انتهت مهمتهما عند هذا الحد ، والآن سيعدان من حيث أتيا .

الآن ترتفع الكاميرا وتحلق فوق الغابة كقطار أسطوري . الآن
نرى أن هذه الغابة تبدو مخيفة بحق . شيء ما غير طبيعي
فيه لكننا لانرى ما هو بالضبط . الآن نظم الشاشة ببطء ،
لينتهى هذا المشهد ..

المشهد السادس .. ليل خارجي ..

نعود إلى الغابة ، لنرى أن الأمطار قد خفت قليلا ، ولتفجر بدا
يشق طريقه بصعوبة ، وسط الغيوم المتناثر فى السماء .
تتسلل خيوط ضوء من وسط هذه الغيوم ، لتعلن مواد جديد ..

الكاميرا ثابتة على مكان قبر الأستاذ (علام) أسفل تلك
الشجرة ، ولا بصاحب هذا المشهد أى موسيقى على الإطلاق .
فلا نسمع سوى صوت الأمطار التى قالت غزارتها وهى
ترتطم بالأرض الطينية اللزجة ..

يستمر هذا المشهد ثابتا لثلاثين ثانية على الأقل ، لجذب انتباه
المشاهد ، ثم تدخل تلك القطعة الصغيرة من يمين الشاشة ..
للقطة صغيرة كأنها ولدت للتو ، مبللة ترتجف برذا ، لو رايتها
للقدت حذرك تجاه هذه الكائنات ، ولأخذتها فى حضنك ،
لتطعمها ما شاءت ..

لقطة تتحرك ببطء ، وتصدر مواء ضعيفا ، وتتقدم أكثر فأكثر ،
حتى تقف فوق مكان القبر تملأها ، ولها تتوقف عن الحركة ، وتلقى
بحركات غريبة ، كأنها سمعت شيئا ما .. شيئا لا نسمعه نحن

تقرب منها الكاميرا ببطء لنرى أنها تحرك أذنيها فى كل
اتجاه ، وهى تصدر مواءها الضعيف ، ثم .. ثم ..

ثم وفجأة ! تخرج يد من الأرض . يد نحيلة تبرز عروقها ويغطيها الدم والطين ، تقبض على عنق اللقطة المصكينة ، وتجذبها بلا رحمة إلى أسفل الأرض !!

وتعود الكاميرا للابتعاد ، والمشاشة تظلم بهبط ..

دون صوت ..

المشهد السابع .. نهار خارجي ..

يفتح المشهد على لغبة أيضا ، ولكن هذه المرة في مكان مختلف ، والشمس المشرقة ، تفرق الأرض بنورها ، لفرى عائلة لطيفة من أب وأم وطفلتين ، يجلسون على مفروش منزلي على الأرض ، والأم تخرج الشطائر من حقيبة ضخمة جوارها ، لتوزعها على الجميع ، وهم يتبادلون الابتسام والضحك ..

عائلة خرجت للزهة ، لا جديد في هذا المشهد ، لكننا نلاحظ أن الكاميرا تركز نوعاً ما على الطفلة الصغرى ..

الطفلة هي ملاك صغير يضحك ويتفاز من هنا إلى هناك بسعادة تنشرها بلا حساب حولها مع كل ضحكة تخرج منها ..

صحيح أن تركيز الكاميرا يمنحنا إبقاء صريحا أن شيئا ما سيحدث لطفلة ، لكنها الحقيقة للأسف . شيء ما سيحدث لهذه الطفلة !!

نراها تأخذ الشطيرة من أمها التي تداعب شعرها بخنجان ، وتتضم قضة صغيرة ، ثم تنفض فجأة على أختها الكبرى ، لتدفعها وهي تضحك ، قبل أن تنطلق في العدو والأشجار ترند ضحكها بسعادة ..

تلاحقها الكاميرا بين الأشجار من ظهرها ، وهي تجري لتلتفت من حين لآخر لتمنحنا إحدى ضحكاتها العذبة ..

ثم تتوقف الطفلة والكاميرا عند منطقة أصبحنا نعرفها جيدا .. قبر الأستاذ (علاء) ..

عند هذه المنطقة تجلس الطفلة على الأرض تلهث ، ثم ترفع رأسها لتري المكان حولها ..

ثم لتبتدئ قليلاً من اللصمت الذي أحاط بها ، تبدأ الطفلة بالغناء بصوتها الساحر :

- عارف الواد اللي اسمه عادل جاب لكتور ...

بتصاعد صوتها بالغناء ، ليغطي على جميع الأصوات ونراها تنظر إلى الأرض ، مكن لقبر بالضبط ، وقد بنت الحيرة على وجهها لصغير ، وتتوقف شغافها عن الحركة ، لكن صوت غلها لا يتوقف ..

تقترب للكاميرا من وجهها ، ثم تراها تهرش رأسها بحيرة طوفانية ، ثم تنفجر الأرض من خلفها ، وليد قهربية تخرج مجدداً . (هذا اللقطة تنفذ بالتصوير البطيء وإلى نهاية المشهد) ..

• وعمله (به ۹۹) • (به ۹۹)

قطع إلى العائلة التي تنتفض وكأنها سمعت صرخة ، قلادة
من بعد .. صرخة يعرفون صاحبيتها ..

- لقي رجليه بقوازي الفتلة .. بص شوية جوا عليه ..

قطع إلى الأب يجرى في الغابة وهو يهتف .

- راح متبله حقن کپی بکری

قطع إلى الأم تصرخ وهي تحتضن طفلتها الثانية التي تبكي بحرقه ..

٢٢ - عارف أدلة الحقّة فيه ؟

قطع إلى مكان القبر حيث نرى فردة حذاء الطفلة ملقاة على الأرض ، وعليها قطرة دماء لم تجف بعد ..

- مابیشتریش اللین الصبح ..

قطر

★ ★ ★

المشهد الثامن - ليل خارجي ،

ذات المكان الكيب في القبة، دون لمطار لهذه القبة، والكلمبر
هذه المرة ترى القبر من أعلى، على ارتفاع شجرة تقريبا ..

نرى قرملا تتحرك حركة خفيفة في الأول ، ثم تزداد الحركة ، حتى نرى رجلاً غدير واضح المعالم يخرج من الأرض زحفاً .. بالطبع نحن نعرف من هو ، حتى لو كنا لا نرى ملامحه ..

نراه يزحف خارجاً ، ثم يزحف مبتعداً .. إلى أين يذهب ؟؟؟

سؤال مهم بالتأكيد..

الشهد التاسع .. ليل داخل ..

شقة الأستاذ (علاء) بذات الإهمال والقفزلة التي كانت عليها حين رأيناها أول مرة ، وهي مظلمة إلا من ضوء القمر القادم من النافذة ، والكاميرا الآن في الصالة ..

تتحرك الكاميرا ، متجهة إلى غرفة النوم المظلمة لوضاً ، لنرى أن كل شيء لا يزال على حاله ، ولنرى أن الفراش خاو ، لكن مع حركة الكاميرا للدائرية ، نرى ذلك الرجل الجالس على الأرض جوار الفراش ، ونعرفه بصعوبة ..

إنه الأستاذ (علاء) ، لكن وقد نمت له ناحية غير منتظمة ، واستظل شعر رأسه على الجانبين ، وجذعه عار من الملابس ، لنرى أنه نحل إلى درجة غير طبيعية ، بينما تومض عيناه في الظلام بوميض أزرق غريب ..

هذا الشخص (كان) الأستاذ (علاء) !!

تتحرك للكاميرا حركتها الدائرية مرة أخرى ، لنرى الغامضين يقفان عند الباب ، يرتديان ذات العباءات السوداء .. يتقدمان نحوه ببطء واثق مخيف ، ثم يقفان أمامه مباشرة ..

وبلغة لا تمت للغتنا الأرضية بصلة ، وبصوت يبدو كقصدي ، يتحدث أحد الغامضين ، لنقرأ نحن لترجمة على الشاشة :

- لقد اكتمل تحويلك إليها القالى ..

نرى أن (علاء) ينظر إليهما بمقت واضح ، دون أن يجيب ، بينما يواصل الغامض :

- وأنتك ليلة واحدة حتى تستعيد جميع قواك .. بعدها ستبقى لبناء مملكتك ..

وينحني الغامض حتى يكاد يلتصق رأسه بوجه (علاء) ، متف :

- بعدها سنأخذ نحن زمام الأمور .

وبذات البطء ، يرفع الغامض رأسه ، ويستدير مع رفيقه لمغادرة الغرفة ، تلاحقهما نظرات (علاء) الكراهة .. ليلة واحدة ..

يقولها الغامض دون أن يستدير ، ويغادر المكان ، فيقوم (علاء) من مكانه ببطء ، ليقف عند نافذة الغرفة ..

ومع قسوة الضحك القادم من النافذة ، نرى صدر الأستاذ (علاء) ، ونرى تلك الخياطة الشنيعة التي أجريت في صدره ..

نراه يمد يده ليتصمصمها ، ثم يقول بذات اللغة العجيبة :

- ليلة واحدة ..

ثم تتبعه الكاميرا وهو يخرج من الغرفة .. يتجه للصلاة .. ثم إلى غرفة أخرى كان بها مطلقاً طيلة الوقت . نراه يفتح الباب ، لتسببه الكاميرا إلى الداخل ، ونرى نحن تلك الجنة الملقاة على وجهها ..

جنة سيدة بدنية ، ترتدى جلباباً قفراً ، حافية القدمين ، ووجهها تجاه للحائط ، فلا نرى ملامحها ..

لقد كانت هذه السيدة تأتي لتنظف المنزل ، لتسلبه خمسة جنيهات كاملة ، أما الآن ..

أما الآن يمكننا أن نقول إنه قد استرد حقه منها بصورة أو بأخرى ..

ولسمعه يردد ، وهو يدخل الغرفة ، مطلقاً الباب خلفه :

- ليلة واحدة ..

قطع ..

المشهد العاشر .. ليل خارجي ..

المبنى الذي يسكن فيه الأستاذ (علاء) من الخارج ، والأمطر تتساقط بكثافة معقولة ، وقد خوى الشارع تماماً من أي حركة ، ونسمع صوت الرياح وهي تحرك قباب الخشب للمبنى ..

ويظهر الغامضان عند مدخل البناية ، ويتحركان إلى الداخل ، دون أن يصدر عنهما لأي صوت .. ثم يتبعهم المزيد .. المزيد من الغامضين ..

يتحركون كقطيع منظم ، وموسيقى لاعمة تصحبهم في خلفية المشهد ، وكلهم يختفون داخل البناية ، فتنتظر الكاميرا قليلاً ، ثم تصحبهم إلى الداخل ..

نراهم يصعدون السلم ، بلا صوت ، ثم يدخلون واحداً تلو الآخر إلى شقة الأستاذ (علاء) ، ليقلوا هناك في الصلاة المظلمة ..

الكاميرا الآن في السقف ، لئلا ننحنا منظوراً أفقياً للصلاة ، والغامضون يقفون ، فيها ، بلا صوت إلا لموسيقى التصويرية ، ينتظرون الأستاذ (علاء) - سبقاً - الذي يخرج لهم من الغرفة ..

تهبط للكاميرا ببطء ، لتعرض لنا الأستاذ (علاء) بعد أن اكتمل تحوله ..

بصورة ما ازداد طوله .. وبصورة ما نمت له تلك الأنياب
التي تكنت خارج فمه .. وبصورة ما أصبح جسده كله يشع
بذلك الوميض الأزرق العجيب ..

يتحدث الغامض الأول فيقول بقلبه العجبية ، تنقرأ نحن لترجمة .
- الآن أصبحت مستعداً ليها لفتى .. الآن حان الوقت لنعلن
عن ظهورنا ..

يتحدث الأستاذ (علاء) ، ليخرج صوته مغليراً تماماً لما
اعتدنا سماعه :

- كل شيء معد لاستقبالكم ..

- ما الذي تعنيه ؟

تقترب الكاميرا (كلوز) على وجه (علاء) ، لتري أنه
يبتمسم ، وهو يقول :

- أنتم لم تعطوني الخيار .. قررتم ونفذتم دون أن تمنحوني
أي خيار ..

يرتفع صوت أحد الغامضين هادراً مخيفاً :

- لقد ملحنناك للخلود أيها الفتى ، ومستطيعنا في كل ما
نأمره به ..

- حقاً ؟

- لا يوجد لديك خيار آخر ..

من الممكن أن تدور الكاميرا طيلة الوقت حول (علاء)
والغامض الذي يحدثه ، خلال الحوار السابق ، حتى يتوقف
على (علاء) الذي يرفع يده ببطء ، وهو يقول :

- بل يوجد ..

تري أنه يحمل في يده قذاحة أنيقة ، فيخرج الغامضون ،
ويبدو عليهم القلق ..

أولأنهم فهموا !!

تتحرك الكاميرا بسرعة هائلة في الشقة بالطريقة التي تشتهر
بها المخرج (نيليد هينشر) ، وتدخل المطبخ .. خلف الموقد ،
لتري أن أبواب الغاز مقطوع ، ويصدر هسيساً مسموعاً ..

وهكذا نفهم نحن ..

وبذات السرعة الخرافية تعود الكاميرا ، إلى يد (علاء)
التي تشعل القذاحة ، ليبدأ اللون الأزرق - وبالتصوير البطيء -
في الانتشار في المكان ..

قطع ..

المشهد الحادي عشر .. ليل خارجي ..

نرى المنزل من الخارج ، سلكنا للحظة ، ثم تنفجر نوافذ منزل الأستاذ (علاء) فجأة ! ليخرج لسان هقل من لثب مصحوباً بدوى هقل ، متجهاً إلى الكاميرا ، لتصر التيران المشهد كله ..
ثم يخذ لسان اللهب ، لكن التيران لا تزال تتصاعد من نوافذ المنزل ..

يجمد المشهد على هذه اللقطة لثوان قليلة ، ثم نرى الغامض الأول يخرج من البناية بذات البطء وذات الهدوء .. ثم يتبعه الباقيون ..

لقد فشلت المهمة ، لكن لا بأس ..

نسمع أحدهم يقول :

- سنضطر للبدء من جديد ..

- بالتأكد سلفاً ..

لنعرف أنها ليست النهائية ، لكن الشاشة تظلم ببطء ، وتبدأ الأسماء في الصفود على الشاشة بسرعة متوسطة ، مصحوبة بموسيقى ناعمة ..

الغرفة في نهاية المجر

يقول السيد (كريم) :

- « تريد قصة مخيفة ؟ حسن ، سأحكى لك واحدة »

« هذه الأوراق عثروا عليها بعد أن انتشلوا إحدى الغواصات البريطانية التي غرقت إبان الحرب العالمية الثانية ، كتبها أحد من كانوا داخل الغواصة ، ولم يقرأها أحد إلا بعد الحادث بسنوات طويلة ، لكنهم لم ينشروا هذه الأوراق قط ، والسبب مستعرفه حالاً .. »

بهذه الكلمات بدأ السيد (كريم) حكاياته ، فبدأته الابتسامة الهللية ، لأقول :

- لقد جذبت اهتمامي ، لكنني أشك أنك ستثير خوفاً ..

- لنضع القصة نجيب عليك إذن ..

ثم إنه أخرج ملفاً قديماً مهترئاً من حقيبته التي يحمل فيها حقائبه كلها ، وفتحها على المائدة بيننا وبدأ يقرأ ..

سألتهم كل شيء في هذا التقرير ، فلا داعي للإطالة ؛ إذ إنني لا أعتقد أن أحدا سيقرا هذه الأوراق على أية حال ، لكنها العادة التي تدفني للكتابة . وحين تقترب نهائيا ستعرف قيمة عاداتك القديمة صديقي ..

أت الرقيب (جونان رايتر) .. لا أعرف تاريخ اليوم ولا يهمني أن أعرفه ، فلا فائدة لهذا هاهنا .. تلك الرفاهيات لم يعد لها وجود على متن الغواصة (78 - U) .. معي هنا في قمرة القيادة كل من (كارل هاسن) و (ويليام سلاتر) ، وكلاهما يحمل ذات الرتبة ، وذات الوعد بالموت خلال يومين أو ثلاثة على الأكثر .. فنحن الثلاثة أبها السادة ، آخر من تبقى على قيد الحياة على متن الغواصة (78 - U) !

القصة سهلة ولا تحتاج إلا لقليل من الاستنتاج ، غواصة ألمانية اعترضت طريقنا ، وأطلقت طوربيدات تجاهنا ، قبل أن نتمكن من الابتعاد بما فيه الكفاية ، وباقى لا يحتاج للاستنتاج بل للخيال .. أنت تسمع صرخة أحدهم يهتف أن طوربيدا ظهر على الرادار ويتجه نحونا بسرعة ، لتجد أن خلية النحل التي تدبر الغواصة قد أصابها الخلل . لكل يصرخ .. لكل يجري .. الكل يضط على أي زر يجده .. ضوضاء تطو بانتظام مخيف .. تسترج أصوات الآلات بصراخ لرجال بصلوات الجميع في سيمفونية هائلة الإيقاع ، ثم يرتطم الطوربيد بجسم الغواصة ، لترتج روحك ذقتها في جسدك .. وفجأة تخمد كل الأصوات ..

ما يحدث بعد ذلك لن يجدى معه أي خيال .. كنت لم تر مشهد المياه وهي تتدفق لدخل غواصة موشكة على الفرق ، ولو رأيته كنت هلفا قبل أن تموت غرقا ، ولما لم أراه لكنت سمعت صرخات من رأوه في القسم السفلي من الغواصة ، إذ تدفق الموت عليهم بلا حساب ..

كنت حينها في قمرة القيادة ، لكن الصرخات كانت تنوى من حولي كل جدران القمرة هي التي تصرخ ، ولم تتوقف الصرخات إلا حين هلك آخر من في الأسفل ، بينما كنا نحن نعمل على عزل القسم العلوي بمن فيها لننقذ ما يمكن إنقاذه .. لكن بعد فوات الأول ..

المياه كانت تتسرب ببطء من الأسفل إلى الأعلى ، والأسوأ أن الغواصة بدأت أبطأ رحلة غرق عرفها تاريخ البحرية .. إلها للحظة التي يكتشف فيها الساجون ، أن من غرقوا في الأسفل كانوا أسعد حظا منا بكثير ، والناجون كانوا أقل بالمناسبة .

صحيح أن الغواصة ارتطمت بالصخور لتتوقف عن رحلتها المخيفة إلى القاع ، لكننا وإذ بدأنا نحصى الخسائر ، انتبهنا إلى حقيقة موقفنا الجديد .. نحن لن نتمكن من الصعود ، ولا نملك وسيلة اتصال صالحة بالعالم الخارجي ، والمصير الوحيد الذي ينتظرنا هو الموت جوعا في قلب المحيط البارد المظلم ..

لا بد أن الذين غرقوا في الأسفل يخرجون ألسنتهم لنا الآن !

وهكذا بدأ الناجون في التنقص . ومع تسرب المياه المستمر ، لم يتبق في القوامة مكان شبه جاف إلا قمرة القيادة والغرفة في نهاية الممر حيث تقلنا جثث للذين هلكوا برذاً وجوعاً ويلناً ..

يتناقص الناجون .. أكثر .. فأكثر .. على سطح الأرض يتركون زوجاتهم وأطفالهم وأصدقاءهم وذكريتهم ، ليموتوا هم في قلب المحيط ، في غرفة في نهاية الممر في القوامة (٧٨ - ٩) .

والآن لنا اجلس مع رفيقي ، لا نجد ما نلعبه سوى أن نرمق الغرفة في نهاية الممر ، متسللين أينما سيدخلها لولاً ، والإجلبة لم تعد تشكل فرقاً .. الأخير الذي سنبقى فيها لن يجد من ينقله ..

على كل حال ، أنا لا أكتب لأحكي لكم هذا كله . أي تقرير سيكتبه السادة المسئولون الذين تركونا نهلك هنا سيبنى بالفرض ، إنني أكتب ما أكتبه لأحكي لكم عن الصوت الذي جاء من الغرفة في نهاية الممر !

لقد بدأ الأمر في قديم السبق ، حين كنت أشتري مع (كارل) و (ويليام) في آخر لفافة تبغ عثرتنا عليها ، وقامت من هواة التدخين ، لكن من الحماسة أن أخشى على صحتي في موقفى هذا .. أنكر أن (كارل) حاول تزجية للوقت بأن يسألنا :

- هل سيتذكرنا أحد في الأعلى ؟ أعنى على سطح الأرض ..

- أعتقد أن أبى سيعتق صورتي في صدر المنزل ، ليربها لكل أصدقائه . وسيفخر على النوم بأنه أبو البطل الذي غرق في خدمة الملكة ..

كنت هذه من (ويليام) مشبعة بسخرية خفية ، فقلت أنا :
- لا أعتقد أن أحداً سيتذكرنى . لقد كنت مثيراً للمشاكل على النوم ..

- أما أنا فوالى أن (جين) ستبكي على طويلاً ، وربما ستقضى ما تبقى من عمرها دون زواج ، احتراماً لذكرائى ..

قالتا (كارل) هاتماً ، فمآزحه (ويليام) :
- هذا إن لم تكن قد تزوجت فعلاً .. حينها يمكنها أن تسمى ابنها باسمك احتراماً لذكراك ..

- مستحيل .. (جين) تحبني أكثر مما تتخيل . فى الليلة التى وصلنى فيها الاستدعاء ، أخذت تبكى بحرقة حتى كانت تلفد وعيها فرقاً ..

وشرد بعينه ليراصل :

- (جين) هى الشيء الوحيد الذى سلفقده على سطح الأرض .
كنت أنا مقتولاً منه لفافة التبغ :

- كالأول .. ألم أخبرك ؟ لقد أجهضت (جين) طفلك ..
أجهضته بعد سفرك على الفور ، كان يجب أن ترى هذا
المشهد ، كان يجب .. كنت هناك دعاء كثيرة ..

هنا لم يحدث (كارل) أكثر ، فهي واقفا وهو يصرخ بقزع :

- من هذا الشخص ؟ ... من أنت ؟؟

فأجابته الضحكة المأجنة الرهيبة .. أيا كان هذا الشخص ،
كل ما أريته هو ألا يأتي إلى هنا !

- الأجل يا (كارل) لها لم تحدث عملية الإجهاض .. (جين)
لذقت بعدها حتى الموت ، وبعدها رفض والدها حضور
جنازتها .. لم يعد هناك ما تفقده على سطح الأرض يا (كارل) ..
والآن هي تعلق ..

صرخ (كارل) وقد استحل لون وجهه الشاحب إلى لون الدم :

- سافقتك .. سأتى وأقتلك ..

وقبل أن تتمكن من منعه ، كان يعدو كالمجنون إلى الغرفة
في نهاية الممر ، حيث جثت الرجال وظلام المحيط .. وحين
قمت لألحق به ، أمسك (ويليام) بمعصمى ليمنعنى ، وحين
نظرت إليه مستنكرا ، أجبتنى عيناه على ألف سؤال .. نعم .
لنر ما الذى سيحدثه (كارل) لولا ..

وهكذا وقفنا نرمل (كارل) الذى غلب فى ظلام الممر ، قبل أن
يدخل الغرفة فى نهاية الممر ، والواقع أنه لم يدخلها فعليا ..

ما رأيته بصعوبة بسبب الظلام هو أن (كارل) بلغ باب الغرفة ،
ثم تكاثف الظلام حوله بصورة عجيبة ، قبل أن يتجذب جسده
لداخل الغرفة بسرعة لا تصدق .. شيء ما داخل الغرفة جذبه !

لم يجد (كارل) الوقت ليصرخ .. ولم أسمع صوت (كارل)
ولم أراه بعد هذه اللحظة قط ..

تأملت (كارل) بتخيل ، لكنه لم يجب . أنا أعرف أنه لم
يعد على قيد الحياة ليجيب ..

ومرت دقائق من الصمت الثقيل ، ثم قال (ويليام) :

- ما الذى حدث ؟؟

- لا أعرف ..

- هل نذهب لتري ؟؟

- لذهب أنت .. أنا لن أخرج مكافئ مهما كان السبب ..

كان اللعق يثل قفرتنا على التفكير ، وقبل أن نجد الوقت
لنستجمع أنفسنا ، كان الصوت المأجن أنقاسى المخيف يقول :

- ويليام ! ! ! .. إنه دورك ..

شهو (ويليام) بذهول وانتفضت أنا بخوف . إنه دور
(ويليام) ، وبعده يأتى دورى ..

لكن (ويليام) صرخ بعصبية :

- تعال وخذنى إليها الحقير ..

أجابه الصوت فى الغرفة فى نهاية الممر :

- كف عن العبث يا (ويليام) أنا وأنت نعرف الحقيقة ..

تمسك الارتباك إلى صوت (ويليام) :

- ما .. ما الذى تقصده ؟!

- لقد خدعوك .. الألمان عرفوا منك كل شيء عن القواصة
ومسارها ، ثم هجموها وقتلوا كل من يجب أن تتوقع هذا ..

- أنت تكذب !!

- حقاً ؟! (فريتز ديشتن) .. أليس هذا اسم ضابط الاتصال
الذى بعته الأسر ؟ لماذا لا تلتى هنا يا (ويليام) ؟! سنتحدث
قليلاً .. وسلمرح كثيراً ..

وجعلت الضحكة تترج القواصة كلها .. أما أنا فكنت فى
حالة صدمة كاملة ..

(ويليام) جاسوس للألمان !! كل ما نحن فيه الآن وكل الذين
هلكوا ، وذلك المصير المخيف الذى يواجهنا .. كل هذا لأن
(ويليام) خائن حقير !! الحصن حظه لئى لا أملك سلاحاً أو قدرة
على القتال .. لكنه لو مات الآن سأتمكن من استغلال وسيلة
لتهرب الأخيرة ..

وأمام نظرة الاتهام التى سددتها له ، قال (ويليام) :

- إنه يكذب .. لا تصنقه ..

- أنت .. خائن !!؟

- إنه يريد خداعك .. حتى لو كنت خائناً ، فمن هو ؟! وما الذى
يريد منا ؟!

كنت أعرف أنه محق فى هذه النقطة على الأقل ، لذا قلت :

- ما الذى سنفعله إذن ؟!

أجابنى (ويليام) هامساً :

- يجب أن نعرف من هو هذا الشخص أو الشيء .. ونقتله ..

- كيف ؟! هل سنذهب إليه ؟!

- إننى لا أجرو على فعل هذا .. لكنى سأحاول أن أخدعه ..

وهكذا رفع (ويليام) عقيرته صائحاً :

- لماذا لا تعيد إلينا (كارل) أولاً ؟! بعدها يمكنك التحدث ..

أقسم لئى لم أعرف المعنى الحقيقى لكلمة (جنل) إلا حين
سمعت الصوت فى الغرفة فى نهاية الممر ، يقول :

- تريدان (كارل) .. لا بأس .. سأرسل لكما (كارل) ..

وأرسل إلينا (كارل) ..

ولم نتمالك أنفسنا من الصراخ هلعاً مما رأيناه .

* * *

كان الظلام يغلف ما أمام الغرفة في نهاية الممر ، لكننا رأينا (كارل) .. ولم نتمالك أنفسنا فصرخنا مما رأيناه !

لا أعرف كيف أصف المشهد ، لكنني سأحاول تقريب قصورة لذهنك .. تخيل جثة رجل تسير تجاهك بحركة ميكانيكية بطيئة مخيفة .. تخيل أن هناك شيئاً ما يتحرك أسفل جلد هذه الجثة كأنه صائل يقف .. تخيل أن الرأس يسقط على الصدر بزاوية ذات دلالة .. تخيل أن هذه الجثة كانت صديقك منذ دقائق معدودة الذي يتناوب معك على الحفاة التيغ الأخيرة ..

تخيل أن للصوت الرهيب المعلن ، كان يصدر من أعماق جثة (كارل) ليقول :

- هاأنذا قادم إليكما .. فتظراتي .. هي هي هي ..

ثم الضحكة المأجنة التي لم يكف (ويليام) يسمعها حتى التلفظ ، ليصرخ :

- إنه هو ...

لم أجروا على إصدار أي صوت أرد به عليه ، ولم ينتظر هو رداً .. بل اندفع إلى باب قمرة القيادة ، ليفلقه في وجه الهول المتجه نحونا ، وكانت تلك هي اللحظة التي تخنت فيها قراري ..

بما الآن أو لا للأبد .. وهكذا اندفعت خلف (ويليام) لأضربه على مؤخرة رأسه بكل ما أوتيت من قوة ، ليسقط خارج قمرة القيادة وهو يصرخ بألم مستنكر .. لكنني لم أضع الفرصة بل دفعته بقدمي بهنظة ، وأغلقت باب القمرة على من الداخل ..

قبل أن يتهمني أحد بالخسة ، أتذكركم أن (ويليام) جاسوس خفن ، بسببه هلك جميع من كانوا في الفواصة (78 - L) .. جميعهم عدا (كارل) بالطبع !

بالطبع كنت ألهم لفرط الانفعال ، بينما بدأ (ويليام) يهزئ على باب القمرة بهستريا من الخارج ، وهو يصرخ :

- (جونثان) .. ما الذي تفعله أيها الأحمق !!

لكنني لم أجبه .. والآن يأتي دور وسيلة الهرب الأخيرة من هذا الجحيم ..

- (جونثان) الفتح .. أرجووه !!

لما أعرف أن هناك منفذاً عبر قمرة القيادة ، إلى غرفة سرية تحتوي على كبسولة لشخص واحد ، يمكنها أن تنقلني إلى السطح . هذا السر هو أخطر أسرار الفواصة (78 - L) على الإطلاق ، وأنا أعرفه لأنني كنت أهوى العبث في أوراق لجنرال قائد الفواصة بانتظام ..

- (جونثان) .. إنه قادم نحوي .. أسرع وافتح الباب

طيلة الوقت وأنا أعرف هذا السر ، لكنى لم أجروا على استخدامه فى وجود آخرين على استعداد تام لقتلى لوخرجوا هم من الفرواصة ، لذا كان على أن أنتظر حتى اللحظة التى أصبح فيها بمفردى ..

- (جونتان) .. قه ..

ثم دوت صرخة (ويليام) هائلة مريعة ، حتى إننى ظننت أنها ستقتلع باب القمرة ، وسمعت بعدها صوت عظيم تنهشم بوحشية ، ثم توقف (ويليام) عن الصراخ .. وعن الوجود !!

أنا أعرف أن هناك منفذاً .. لكن أين هو بالضبط ؟

- جونتانا.....ان .. لم يعد هناك سواتا .

يقولها الصوت المخيف ، فأشعر ببرودة عجيبة تضررنى . لقد حان دورى ..

لكن لا .. سأعثر على المنفذ الآن ، وسأخرج من هنا . وهذا بدأت رحلة بحثى فى قمرة القيادة ، والصوت يواصل .

- جونتانا.....ان .. افتح الباب .. سأريك شيئاً سيروك لك حقاً .

ثم دوت أول ضربة على باب القمرة للمعدنى ، ففزت متراجف بلزع ..

لقد قبعج الباب المعدنى السميك لشدة الضربة .. لا يوجد بشرى قلدر على تسديد مثل هذه الضربة للباب ! ضربة أخرى وينهار الباب .. لذا أخذت أبحث كالمجنون بلا أمل هلوى فى النجاة ..

- جونتانا.....ان .. لا تحول الهرب .. أنت آخر من أحتاجه ، بعدها يمكنى العودة ..

ضربة أخرى على الباب المعدنين ، كاد ينخلع لها قلبى ، بلما اتبعج الباب أكثر .. إنها للضربة القادمة إذن ! لذا قررت أن أجاريه لأكسب بعض الوقت ، فصحت :

- تحتاجنى فى ماذا ؟

- لأغذى يا جونتانا .. إننى أحتاج للغذاء كما نطم لأمكن من الاستمرار .. لا تهرب لأنك لو هربت سأنتهك إلى السطح ، وربما ذهبت بعدها إلى اليابسة ، وصدقنى .. أنت لا تريد لمن هم مثلى أن يصلوا إلى اليابسة .. يمكننى حينها أن أذهب لوالدتك المريضة فى مستشفى (كامبريدج) ، لأخبرها أنك لم تكن ولداً مهذباً يا جونتانا ..

هنا توقفت عن البحث وقد استبنت بى حالة عجيبة لا أعرف كيف أصلها بالضبط .

هذا الشيء القاتم من أعماق المحيط ، حيث تختفى درجات اللون ويسود الصواد ، ليتغذى على جثثنا ، ولن يتوقف أمام أى عائق .. هذا الشيء كان ينتظر طويلاً ، وها هي فرصته .

ضحكة ماجنة مريضة ، ثم ضربة أخرى على الباب الذى لا أصدق أنه احتمل هذا كله ..

إنه على حق .. لا يجب أن يصل مثل هذا الكيان إلى التلبسة .. لا أعرف ما هو ولا أريد أن أعرف ، لكنى وثق من أنه يجب منعه من الوصول للتلبسة ..

لذا قجعت إلى تلك الخزنة المعدنية الضخمة ، وبدأت أدفعها تجاه الباب لأدعنه . هذا لن يحل المشكلة لكنه سيمنحني الوقت اللازم .. والآن على أن استعد تركيزي لأبدأ فى العمل على نوحه القيادة ..

تعمل الفواصة (78 - U) ستة طوربيدات لم تتمكن من إطلاقها .. ست طوربيدات قلادة على إغرائنا وإنهاء حياتي وحياة ذلك الشيء الذى جاء إلينا من الغرفة فى نهاية الممر .

نعم .. هذا هو الحل الوحيد .. المهم أن نفذها كما يجب .. لن أرهقك بالتفاصيل ، لكن المطلوب ببساطة هو أن أطلق الطوربيدات بينما الكوة التى تخرج منها مظقة ، حينئذ ستفجر فى الداخل . التنفيذ ليس بهذه البساطة ، لكننى سأحاول ..

لكننى وإن كنت سأعرق الفواصة (78 - U) فيجب على أن أكتب السبب عليهم يعثرون على النقيب ذات يوم من الأيام ، حينها سيعرفون ما الذى حدث بالضبط .. وهذا ما أخطه الآن ..

لحكى لكم حقيقة ما حدث ، بينما الضربات تنهال على باب القمرة ، تخالطها الضحكة الماجنة الشيطانية التى يبدو أنها ستكون آخر ما نسمعه فى هذه الدنيا ..

لنا (جوناثان رايتز) وهذه هى لحظة النهاية .. الباب ينهار أخيراً بينما يدى معلقة على مفتاح إطلاق الطوربيدات والآن أرى هذا الشيء على حقيقته أخيراً و ... و ...

« هذه هى نهاية الأوراق .. »

يقولها السيد (كريم) لأخرج بصعوبة من حالة الذهول ، لأقول :

- قصة عجيبة حقاً . لكنها صعبة التصديق ..

يتنسم السيد (كريم) ، ويقول :

- أنت على حق . إنها صعبة التصديق ، لكن (جوناثان) كتب هذه الأوراق ، ووضعها فى صندوق خاص فى الفواصة لوضمن أنها لن تلتف ، وأن أحدهم سيقرأ عليها فى يوم من الأيام .

- ربما كانت هلاوس رجل يموت وحيداً في غواصة غارقة .
- ربما ولكن ..

وتسمع لهتسامة السيد (كريم) أكثر :

- لكنهم حين انتشلوا بقايا الغواصة (78 - L) لاحظوا شيئاً غريباً . الغواصة لم تحتو على أى جثة من جثث الرجال الذين غرقوا داخلها . ربما كانت الأسماك لكن . أى أسماك هذه التي لا تترك حتى العظام خلفها !؟

وصمت ، فصمت أنا أيضاً ألقب الأمر كله في رأسى .. ولمسب ما شعرت بالقشعريرة تغمرنى ..

ولمى النهاية قلت :

- على كل حال تبدو قصة لا بأس بها .. لكننى أتوقع المزيد ..

تراهى السيد (كريم) في مقعده اللوثير ، وشبك أصابعه على صدره ، ويقول بهدوء :

- سنحصل على المزيد ولكن ! فى المرة القادمة .

قصة الممد

الليلة التاسعة

رواية

من الماضي

صفحات غابرة من القرن الثامن عشر

الممر الحجري الكليب . المضاء بالمشاعل ذات الذهب المتراقص ، ملقياً بتلك الظلال المتراقصة للرهيبة .. رقصة النار المجنونة الخالدة ..

الوزير بحركته التي تكسبه وقاراً ، يليق بوزير الملك (جورج الثاني) يقطع الممر بخطوات سريعة ، تعكس توتره للبلدي في ملامحه ..

قطع الممر ، ليستقبله الحارس بنحية صاخبة ، تجاهاها وهو يلف إلى تلك القاعة الضخمة المصانة بعشرات المشاعل ، ملقحة بإياها هبة واضحة ، أضفت إلى هبة طبيعة المكان ذقه ..

بلاط الملك (جورج الثاني) نفسه !

وعلى عرشه استوى الملك (جورج) ، وقد أخذت عناء الباريتان الفاسيتان ، فسوة ملك مملكة لا تغيب عنها الشمس ، تتلععن الوزير الذي امتثل أمامه لينحني بلعترام بالغ ، قللاً بصوته الذي لم تؤثر في قوته السنون .

- مولاي ..

دوى الصوت الجمهوري ، صوت الملك يقول :

- ماذا عندك يا وزيرى ؟

فرد الوزير قائمه ، وقال متحاشياً النظر في عيني الملك :

- لقد استفحل الأمر يا مولاي . استفحل وأخشى أن تلتى اللحظة ، التي يخرج فيها من أيدينا ..

- أمر ماذا ؟؟

- أمر ذلك البيت يا مولاي . البيت المسكون !؟

خرج صوت الملك (جورج) حاملاً برونزا يكاد يطفئ لهيب كل المشاعل في القاعة :

- ماذا عنه أيها الوزير ؟

تسللت العصية إلى صوت الوزير رغماً عنه ، وهو يجيب :

- لقد فلفت سمعة هذا البيت الحدود .. وقلانس يخشونه كالأموات ذقه ولا أحد أصبح يجزى على اللنو منه . إنهم يطالبون بهدمه ...

- يطالبون بهدمه لأنهم يخشونه ؟ لماذا لا نقتل الوزراء أيضاً ماداموا يخشونهم هم أيضاً ؟؟

أسقط في يد الوزير وقد منحه ملكه واحدة من ربوده البقرة الشهيرة .. لكنه لم يتملك نفسه ، من أن يقول بتخاذل :

- ولكن ..

- ولكن ماذا؟

تحنى الوزير باحترام ، قائلاً :

كما تشاء يا مولاي ...

والتفت مغادراً القاعة الملكية تاركاً الملك ..

واتنظر الملك حتى غادر ، ثم قام من على عرشه ، ليذهب إلى ممر آخر خلف العرش لضاعته المشاعل ، متجهاً إلى غرفة الملكة (كارولين) ...

وعلى باب الغرفة ، هبت الوصيفات ، ليستقبلن الملك بمزيج من الرهبة والخوف ، ليقول هو بصراحة :

- هل الملكة مستيقظة ؟

أجابته إحدى الوصيفات على الفور :

- نعم يا مولاي ..

ودون أن يرد عليها دخل إلى غرفة الملكة ، التي رقدت في فراشها شاحبة ، وأمرات الإعياء تطل من وجهها ومن سعالها المتقطع ..

وبصرامة خلت تماماً من الإنفاق سألها :

- لما زلت ترفضين التحدث ؟

روايت مصرية لتجيب .. (عالم آخر)

٩١

أدارت (كارولين) له عينيّن متشائلتين بالمرض وخروج صوتها متحسّرجاً محملاً بالوهن ، وهي تجيب :

- لا أملك شيئاً لأجيب به مولاي ..

- بل يمكنكين .. يمكنكين سر هذا البيت !

فلها بلهجة صارمة مخيفة ، استقبلتها هي بضبط ، وهي تكرر :

- لا أملك شيئاً أجيب به مولاي ..

للتمع الغضب في عيني الملك (جورج الثاني) وبدأ ، وكأنه سيصدر أمراً بإعدامها وعلى الفور .. ولكنه تمالك نفسه ليقول بصوته البارد المخيف :

- لقد منحتك أكثر من فرصة يا (كارولين) ويبدو أنك لم تتركي لي الخيار - سيهدم المنزل غداً ...

أطلقت الملكة سعة خفيفة ، وقالت وهي تغالب فقدان الوعي .. وربما الحياة ذاتها :

- لن يستطيع مولاي !

ارتجفت شفتا الملك غضباً أمام هذا التحدي السافر ، وعكس صوته كل غضبه ومقته ، وهو يقول :

- ستري ..

وغلاد الغرفة بخطوات سريعة قبل أن يفقد أعصابه
ويخنقها بيديه !!

ولم يكذب بفعل ، حتى لانت الملكة بصوتها الواهن على
إحدى وصيفاتها :

- « ملرتا » ...

دخلت الوصيفة العجوز على الفور إثر ندائها قائلة

- أمر مولاتى ..

انتزع الملكة الكلمات من حلقها انتزاعا ، وهى تقول :

- ثمة سر يجب أن أفضي إليك به يا (ملرتا) ...

لست أظننى سأستمر أكثر من هذا ...

حلق قلب الوصيفة العجوز وجلاً ، والمنكة تتابع :

- يجب أن يحافظ أحدهم على السر ..

وزاغت عنها أكثر فأكثر ، إذ أردفت :

- سر البيت الملعون ..

واستحال وجل الوصيفة إلى فرع !!

* * *

حدث فى هذه الليلة ... !!!

وهكذا وجد (يوسف يحيى) نفسه فى تلك القاعة .

الرائحة الخفيفة الرطبة . والضواء المشاعل للمترائصة تمزق
الظلام إلى ألف ظل وضربات قلبه فى صدره تبيض بالخوف
والهلع ..

والفضول !

تلك الفضول القاسى العجيب ، يجرى فى عروقه ويدفعه
إلى المواصلة ..

يجب أن يعرف .. يجب أن يلهم .

ومهما كان الثمن .

ونظر إلى المعمر للمظلم الذى جاء منه ، وتساءل

كيف سيخرج من هنا ؟

لا بأس .. لنترك هذا لوقت .. المهم أن يبقى حياً ليخرج .

وبعينين شاربتين أخذ يرمى لقاعة أمامه .. خاصة تلك المقعدة

الخشبية ، التى تراصت حولها المقاعد وتناثرت فوقها الشموع .

إها تتلذذ .. تطلب منه الجلوس . وتلك البقعة العتيق ..

عليها . يطلب منه أن يفتح .. أن يقرأه .. فهل يجرو ؟

واستجمع شجاعته .. جر قدميه جرًا وتقدم .. ثم بلغ المقعدة
ليجلس على أحد المقاعد .. وبدين مرتجفتين مد يده إلى دفتر
ليفتحه ..

ثم انتبه بفتة إلى شيء .. بلغ الأهمية ..

يجب أن يدون ما حدث .. يجب .. ليترك حقيقة ما حدث
في دفتره ، لعل أحدهم يجده فيعرف ما حدث ..

وهكذا أخرج يوصف دفتره وقلمه ، وبدأ يكتب :

« ها أنا قد بلغت تلك القاعة المظلمة ولا أعرف حتى كيف
سأخرج منها بعد ذلك .. ولا كيف سينتهي هذا كله .. ولكني لم
أعد أهتم .. إنني على استعداد لبذل حياتي ذلتها مقابل أن أفهم
ما حدث لي .. إنها لحظة الحقيقة كما يقولون .. فإما الآن أو
لا للأبد !

على كل حال ، لقد كان كل ما مررت به فلسفياً بحسب
ويستحق أن أظفر بتفسير من أجله .. ولئن تخففت ، لكنت
قضيت حياتي كلها ، أتعامل عن سر ما حدث ..

عن ماذا كان يختبئ خلف تلك الأحداث المذهبة ..

لهذا إن لم أخرج من هنا ، أرجو أن يجد أحدهم هذا الدفتر
ليفهم ويعرف ..

لقد سجلت فيه كل ما حدث ومنذ الليلة الأولى و ...
مهلاً ...

ثمة صوت ما !!!

صوت خطوات قادمة من المعمر المظلم الذي أثبت لنا منه !!!

نعم لست أهدى إنها خطوات .. وخطوات أكثر من
شخص .. أيضا .. !!!

أشعر بالخوف ولا أملك أن أنكر هذا .. ترى هل رأى أحدهم
المشهد في الأعلى وجاء ليستقصي .. ربما .. لقد اقتربت
للخطوات على كل حال ...

يا إلهي .. لا يمكن أن يكون ما أراه حقيقة إنه مستحيل ..
مستحيل !!!

ولكن .. أعتقد أنه يجب أولاً أن نعرف الأحداث منذ البداية
منذ الليلة الأولى ..

الليلة الأولى

منذ بدأ كل شيء ١١

فرك ذلك العجوز ، نوالذق لتأمية ، والجليل القدر كليه ، وقال :

- هه .. هل أعجبتك ١٢

للقى (يوسف) نظرة على الغرفة الضيقة ، بعدم رضا واضح إلا أنه قال :

- لا بأس ..

- لقد قلت إنك تريد مكاناً هادئاً .. أليس كذلك ١٣

- نعم .. قلت ...

عاد العجوز بفرك كليه ، قاعلاً :

- إنك لن تجد مكاناً أكثر هدوءاً من هنا .. كما أن الإيجار مناسب و ...

قاطعه (يوسف) بنفاد صبر :

- أعرف .. أعرف .. هناك.

- ونأوله بضعة أوراق مالية تلففها العجوز بنهفة ، هاتفاً :

- شكراً يا سيدى .. سألتركك لفرتاح ..

وغفر الغرفة على الفور تاركاً (يوسف) بحقيقته على الفراش المتهالك ، مجبلاً بنظره فى أثاث الغرفة المتواضع ، المتكون من منضدة خشبية ومقعدين ، لا يصلح أحدهما للجلوس !

ثم فتح باب لشبك ليلقى نظرة على المنطقة المحيطة .. حقاً .. لقد صدق العجوز . لا توجد منطقة أكثر هدوءاً من هنا ... من المقابر ..

وأمام المشهد الكئيب المظلم من القاذرة أخذ (يوسف) يفكر ..

ها هو قد ظفر بالمكان الهادئ الذى ينشده ليبدأ فى كتابة الرواية التى يحلم بها .. تلك الرواية التى يعقد عليها أمله فى النجاح ككاتب ..

صحيح أن إمكانيته المالية لن تسمح له بإيجار هذه الغرفة أكثر من شهر ، ولكن لا بأس ..

ربما بحث عن عمل ليدر عليه دخلاً مؤقتاً حتى ينتهى من كتابة الرواية .. ولكن الآن ما عليه سوى أن يفرغ تفكيره للكتابة .. للكتابة فحسب ..

سينام الآن ويستيقظ مساءً ليبدأ طقوس كتابته المعتادة .. وجبة خفيفة وقدر من « الكاكاو » الساخن .. ورزمة من الأوراق البيضاء تنتظر أن تمتلئ بالقبر .

وصلحاً بديل ملائمه بأخرى للنوم .. عند جسده على الفراش المتهالك .. أغلق المصباح الوحيد فى الغرفة .

ونام ..

وعندما دقت الساعة العاشرة مساء استيقظ ليبدأ في ممارسة طقوسه ..

اغتمل ، ثم أكل طعاماً مغنياً ، ثم جلس على المقعد الخشبي أمام رزمة الأوراق على المنضدة ، والأبخرة تترافق على سطح كوب « الكاكاو » ..

أمسك قلمه وبدأ يعصر أفكاره ..

مرت نصف ساعة .. ساعة .. ساعتان .. بعدها فكر أنه لا يمكنه ما يكتبه !!

خواء فكري تام !!

وبسخط ألقى بقلمه ، ليحرق بعينين شاربتين في قذح « الكاكاو » الذي برد منذ زمن ..

عن ماذا يكتب ؟؟ إنه لا يعرف !!

إنه ذلك الشعور السقيم بأنك كنت تملك الفكرة .. فكرة تتغلغل داخل جمجمتك وكنتما ترجوك أن تكتبها . أن تمنحها للخلود على الورق .. ولكن ما إن تقرب منها . ما إن تحاول أن تقبض عليها بأصبعك .. حتى تكتشف أنك كمن يحاول أن يمسك بخيط من الدخان ..

لقد تبددت الفكرة من رأسه كما يتبدد خيط الدخان !

وشاعرا بالحنق قام من على مقعده وخرج من الغرفة مزعماً التجول قليلاً بين المقابر على وجد فكرة يبدأ بها ..

استقبله نسيم الليل البارد ، ليثير بين أوصاله تلك الرجفة الأولية ، ثم استنشق نفماً عميقاً ، ملأ به صدره وأخذ يتجول بين شواهد القبور الرمادية ، وبرهبة غمغم لنفسه :

- إنه مكان موحش حقاً !!

وتعلبت غريزة الاستكشاف في أعماقه على كل هذا ، فأخذ يجول بين الشواهد الباردة وكنتما يبحث عن فكرة بينهم ، بينما ذلك الشعور المعتاد بالرهبة من الموت والمقابر ، يجد طريقه دخله ناي بشرى آخر !

إنه ذلك الخاطر الرهيب المرير ، بأن تلك الحجارة تحوى أسفلها رفات العشرات .. عشرات كانوا يحيون ويفكرون ويحلمون ويحبون ، ثم أقتلهم بهم الأمر إلى القراب .. وميأتي دوره لينحى بهم أجلاً أو عاجلاً ..

« مهلاً .. ما هذا !! »

تقطع جبل أفكاره وهو يحلق فيما قلته إليه قماء بعجب بلق ،
مغمضاً بالعبرة السابقة ، بلهجة تلوح بالدهشة والاستغراب !!

فأمام عينيه تراصت ستة قبور ، في دائرة كاملة ، بعدت بضعة
أمتار عن باقي القبور ، وقد أحاطت بها دائرة من التيهات التي
رحلت على شواهد القبور مطوقة إياها بسياج أخضر داكن
منح المشهد هيئة عجيبة وكلها لوحة كابوسية عن الموت !!

وألم هذا المشهد وقف (يوسف) برهة مذهولاً قبل أن يملك
المسطرة على قدميه مجدداً ليرى في الدوران حول القبور ، باحثاً
عن ثغرة وسط سياج الأعصاب لينفذ منها إلى مركز الدائرة ..

« أنت هنا !! »

انبعثت الصيحة من الظلام لتطرح بأعصابه ولتجعله يلتفت
كالمندوخ إلى مصدر الصيحة .. اصطدمت عيناه بالعينين
اللتين التمتعا في الظلام ، ثم تبدت ملامح الوجه المنعصين
ذي الشعيرات البيضاء النامية من خلفهما :

وكرر :

« أنت .. ماذا تفعل هنا !! »

اتنزع (يوسف) الكلمة من خلفه ليرد عليها :

« أنا أسكن هنا .. »

« أنت المسكن الجديد إذن ؟ »

« نعم .. »

تحركت التراجع على جفني وجهه لترسم ابتسامة ودودة ، وقال :

« مرحباً .. »

وكثما لذبت ابتسامة العجوز خوفه ، هدأت نفس (يوسف) ،
وأجاب :

« أشكرك .. هل لي أن أسلك من أنت ؟ »

« حارس هذا المكان .. »

هز (يوسف) رأسه متفهماً وأشار إلى نافذة غرفته المضينة :

« هذه غرفتي .. . انتقلت اليوم ... »

جلس العجوز على إحدى الصخور الضخمة ، وأخرج من
جيبه لفافة تبغ مكنتزة ، أشعلها قائلاً :

« ولم تجد مكاناً أفضل من هنا يا ولدي ؟ »

ابتسم يوسف مجيباً :

« لقد كنت أزمع الوحدة والهدوء .. »

بلاؤه العجوز الابتسامة ، فقال :

« ستحصل عليهما هنا بالتأكيد .. »

علاء (يوسف) يهز رأسه متفهماً ، قبل أن يسأله بفتة :

- منذ متى وأنت هنا ؟

سعل العجوز لافظاً المزيد من الدخان ، ثم أجاب :

- لست لأذكر بالضبط .. عندما تبلغ عمري لن يشكل هذا فارقاً ..

ومال إلى الأمام قليلاً ، متسائلاً بتخبط :

- لماذا ؟

- كنت أسمع عن هذه القبور الستة .. لست أدرى ..

لكن ألا تبدو لك غريبة نوعاً ما ؟

نفت العجوز دفقة أخيرة من الدخان ، قبل أن يلقي باللفافة

أرضاً متسائلاً :

- أي قبور ستة ؟! للمكان مكتظ بالقبور ..

أشار يوسف إلى ما خلف ظهره ، قائلاً ...

- تلك التي تشكل دائرة ..

منحه العجوز نظرة طويلة متفحصه ، ثم قال :

- لست أدرى عن ماذا تتحدث يا بني .. فلا توجد أمامي

قبور ستة أو دائرة ..

علاء يوسف حاجبيه باستغراب ، قائلاً :

- ماذا ؟!

واكتفت بجذعه مشيراً إلى .. إلى .. أين ذهبت القبور ؟!

تسمر إصبعه المشير إلى الأرض الجرداء الخالية تماماً وهتف

بذهول :

- لقد كانت هناك ..

وهب واقفاً ، غير مصنع لما أمامه ، مردداً :

- فكيف أنها كانت هناك ..

ربت العجوز على كتفه ، قائلاً من بين سعاله :

- يبدو إنك لم تتم جيداً يا بني .. سأتركك الآن ، فالوقت متأخر

على عجوز مثلي ..

ثم تركه وسط ذهوله ..

لكن كيف ؟! القبور كانت هناك ؟! هوراًها بأم عينيه ؟!

لا .. لا ... لا بد أنه يهذى للقبور لا تخفى فجأة .. كل هذا

كان هذياناً و ..

إيه ليس هذياناً .. إنها الفكرة ..

لقد خرج ليبحث عن فكرة، وما هي تتقاذف أمامه . وهذه المرة لمسك بخيط الدخان وما عليه إلا أن يتسج به قصته .
قصة رعب على ما يبدو ...

كل ما عليه الآن هو العودة . إعداد قدح « كاكاو » آخر ثم السباحة بين الأوراق ..

وبخطوات سريعة ، اجتاز القبور عابداً إلى غرفته ،
ليدخلها بلهفة ، قبل أن يقف هاتفاً بسخط :

— اللعنة ..

لقد نسي النافذة مفتوحة ، فأطار الهواء أوراقه في أنحاء الغرفة ..

وبضيق بالغ أغلق النافذة ، ثم اتحنى ليجمع الأوراق ،
ولكنه توقف بلغة ليحدق في إحدى الأوراق التي كتبت عليها
بضعة سطور باللغة الإنجليزية ..

مهلاً .. إنه لم يكتب شيئاً قبل أن يترك الغرفة . فمن كتبها
إذن ؟

وبحذر مد يده ليلتقط الورقة ثم أخذ يقرأ ما فيها ببطء ..

روليت مصرية للجيب .. (علم آخر) ١٠٥

ثم ترك الورقة تسقط من يده ذاهلاً !! هذه المرة ، إنه
لا يهذى .. بالتأكيد لا يهذى !

لقد خالفت القوتين عليك أن تعن نفسك عضواً ميتاً في
قليلة للنسعة ..

هذا ما كان مكتوباً في الورقة ... !!

* * *

الليلة الثانية

أحداث أخرى ..

في اليوم التالي استيقظ ، جلس على فراشه ، ثم أشعل سيجارة من العتبة التي ابتاعها ليلة أمس . وأخذ يحدق في الورقة ..

لقد خالفت القوانين .. عليك أن تعلن نفسك عضواً ميثاً في الليلة التاسعة ..

الحروف الإنجليزية العتيقة بأطراف مثنية ، مائلة ، والتي تبدو كأنها رسمت لا كتبت ..

والآن من رسمها في غلبه ؟ وما الذي يعنيه بالضبط ؟!

استنشق المزيد من الدخان في صدره ، وواصل .. هل هي مزحة ؟ لا ... لا تبدو كذلك .. أوعى الأقل ، الأمر أسخف من أن يكون مزحة ..

وأعجب من أن يكون جدياً ! لهذا فهو يصلح .. يصلح لاستخدامه في روايته ...

سيكتب قصة عن شباب ، يعيش وحيداً في المقابر ، ليكتب رواية ، فيصطدم بالقبور المسنة ، وتلك الرسالة المجهولة .

سيكتب ما يحدث له ..

وإذا علفت قفورة الحماس تجتاح عروقه . هب من على فراشه ، والتفت أوراقه وقلمه وبدأ يكتب . ويكتب . ويكتب ! وبعد أربع ساعات متواصلة ، أمسك الأوراق التي تشبعت بالكلمات ، وأخذ يرتعش ...

لقد كتب ! أمسك قلمه مجدداً وكتب !

الآن عليه أن ينتظر .. فما سيحدث له في عالم الواقع هو ما سيحدث له في عثم للرواية التي يكتبها . أما الآن ، فهو يستحق أن يكافئ نفسه بقداء شهى ، وكوب كبير من الكاكاو . ثم يكتب هذا ضمن أحداث الرواية !

أي شيء سيفعله أو يحدث له سيكون ضمن أحداث الرواية ! وابتسم لنفسه مخمضاً :

لأنصرف إذن كما يليق ببطل روايتي أن يتصرف .. ثم أشعل سيجارة أخرى ، وخرج من غرفته ، ليتنسم للهواء المعبق برائحة شواهد القبور ..

ورآها ..

كانت هناك .. بالقرب من غرفته ، تهم بركوب سيارتها التي اشتركت مع ثوبها في اللون الأسود ، وعلى عينيها منظر لكن يحفى ملامحها .. وقد تكفلت خصلات شعرها بإخفاء النصف الآخر ..

كانت تهم برحوب سيارتها عندما رفعت رأسها بقعة ونظرت إليه !!

ثم تقدمت نحوه !!

أما هو فتسمر في مكانه ملخوذاً ، حتى أصبحت أمامه مباشرة
لتقول بإنجليزية صميمة :

— لقد جاءوا من أجلك ..

وقبل أن يستوعب عبارتها ، كانت قد عادت إلى سيارتها
لتتطلق بها مخلقة عاصفة من الغبار ..

وفي ذهنه بدأت أفكار عديدة تتولد ..

إنها إنجليزية .. لغتها ذات الوطء الثقيل تقول هذا ..

إنها تعرفه .. لقد تحدثت إليه ولكنها تعرفه حتى المعرفة ...

لقد جاءوا من أجله .. هي قالت هذا !!

من هي ؟ ومن هم ؟!!

و ... مهلا .. أتراها هي التي كتبت تلك الورقة ؟

« صباح الخير يا أستاذ (يوسف) ... »

أدار عينين شاردين إلى مصدر الصوت ، ليجد ذلك
العجوز ، ذا الجلاب القذر ، الذي أجزله الغرفة ، بفركه
كفيه ، مبتسماً في لزوجة ..

وبشروع لمتراج ببعض الضيق ، أجابه :

— صباح الخير ..

ثم لم يتمالك نفسه أن يسأله :

— من هذه السيدة ؟!

بدا العجوز وكأنما ينتظر أن يسأله هذا السؤال ، إذ تطلق :

— إنها أجنبية .. جاءت هذا الصباح لتتشرّف على دفن سيدة
من بلدتها ، في قطعة الأرض المجاورة .. ويبدو أنها غنية
بحق .. لقد دفعت بمخاء ، ووضعت للقبور شواهد رخامية
لينة .. لم أر مثلاً من قبل .. بل والأغرب من هذا ، لقد
وضعت للقبور ، في شكل دائرة ..

دائرة !!!

رنت للكلمة في أذنه بخف ، جعلته ينتفض بذهول . ثم
اندفع يدعو عبر شواهد القبور ، على نحو أدهش العجوز ،
وجعله يضرب كفا بكف مخمضاً :

— هل جن ، أم ماذا ؟!

أما هو ، فقد أخذ يدعو لاهث بين شواهد القبور وفي ذهنه
فكرة .. بل أمنية واحدة . ألا يكون ما يظنه حقيقة ولكنّه إذ
وصل ، كانت الكلمة الوحيدة ، التي استطاع أن يفتزعها من
بين لاهاته هي :

.. مستحيل !!

فأمامه تراصت القبور الستة في دائرة كاملة ، تصاناً كما رآها ليلة أمس !!

لساعات طويلة ، لم يستطع (يوسف) سوى أن يدخن .

وفي ذهنه عرجت الأفكار والتساؤلات والخيالات ، لتصيبه بهداع تكاد خللها عقله تذوب معه ..

ثمة شيء ما خطأ فيما يحدث .. ما هو بالضبط ؟؟

تصاعدت طرقان على باب غرفته ، فهتف من مكانه :

من ؟؟

أتاه صوت حارس المقابر العجوز ، مفعماً بالود :

.. إنه أنا يا ولدي ..

شعر ببعض الارتياح لمجيئه ، فقام يفتح له محاولاً رسم ابتسامة ترحيب على شفتيه :

.. أهلاً بك يا والدي ..

نظر إليه العجوز بعينين لا تطرفان ، ثم قال -

.. ما بك يا ولدي ؟؟

روايات مصرية للجيب .. (عالم آخر) ١١١

أراد (يوسف) أن يمنحه إجابة باترة ، يريحه بها ، إلا أنه وجد نفسه يحكي له على كل شيء ...

القبور .. الورقة .. السيدة الأجنبية .. الدائرة ... الرواية ..

وما إن أتم حتى لبس الحارس العجوز ، قللاً :

- ولم تشغل ذهنك في هذا ؟! ليكن الأمر ما يكون طالما لا يضررك ..

كيف ؟؟ !

- يا ولدي .. الحياة أعقد من أن نقف عند كل مشكلة فيها .. ثم إنك تقول إنك تكتب ما يحدث لك في روبيك .. أي أن الأمر قد عاد عليك بفائدة رغم كل شيء .. أليس كذلك ؟؟

أطرق (يوسف) لحظة ، ثم قال :

- للسيدة الأجنبية كانت تحاول إخباري رسالة ما . رسالة تتعلق بما وجدته في الورقة .. ثمة شيء على فطه لا أفهمه ..

أجابه الحارس بهمساة :

- لا بأس .. حتى تتبين لك حقيقة الأمر ، واصل حياتك كأن لا شيء هنالك ...

ثم نهض ، ليرف :

دعنا نتمشى قليلاً في الخارج . سيربح هذا أعصابك ..

هز (يوسف) رأسه موافقا، وانطلق معه إلى الخارج، وهو يقلب ما قاله للحارس العجوز له، في رأسه ..

لم لا ؟ ليرتك الأمر بعضى حتى يفهمه ...

ثم إنها أحدثت أخرى تضيف إلى روايته ..

وعلى شاهد أحد القبور، استقر بهما المقام، فأخرج العجوز سيجارة غليظة من جيبه أشعلها، وقد أخذ يرمق القمر في سكونة ...

وبفضول سأل (يوسف) :

.. لم أعرف اسمك بعد ؟

.. اسمى (فهمى محمد) ...

وأنا (يوسف يحيى) ...

تشرطنا

قالها ولائلا بالتصمت مجددا، فرفع (يوسف) عينيه إلى القمر هو الآخر ليسبح في بحر ذكرياته ..

تذكر طفولته، وحيدا بلا إخوة .. ثم يتوما بلا أبوين بعد أن مات والده في حادث على الطريق .. تذكر جزلة الحسنة، ورسائل المراهقة التي كان يلقيها على نافذتها .. تذكر يوم رحلت مع أسرته لتزيد وحدته، وحده .. بعدها لم يبق له سوى القراءة .. والكتابة ..

عالم حلقة يسبح فيها، ليضع بعدها عوالمه هو على الورق .. الكتابة تمنحه سحرا ما بعده سحر ...

سحر أن يكون المسيطر ..

أن يملأ عالمه الوحيد بلطلق قصصه، ثم يسيرهم كما يشاء ..

« ما هذا ؟! .. »

قالها العجوز بغتة وهو يلهض من على شاهد القبر، فحدق (يوسف) فيه لحظة شاردة، ثم اتبته لقوله ليتساءل :

.. ما الذي حدث ؟!

.. أعقد لفتى رأيت شيئا ما ..

ثم توجه إلى دائرة القبور، وقد بدا عليه الاستغراب، فتبعه (يوسف) حتى بلغا منتصف دائرة القبور ...

وهناك رأى (يوسف) ما جذب انتباه الحارس العجوز .. رأى جثة ذلك الكلب الضخم التي رقدت أمامهما بلا حراك !

وببطء ملق الحارس العجوز على الجثة ليتحسسها، قائلا :

.. إنه بارد .. لقد مات منذ زمن ..

لم يجبه (يوسف) بحرف ... بل أخذ يحدق في جثة الكلب برهة، ثم انتقل بعينه إلى شواهد القبور من حوله

ورغماً عنه تسلس إليه شعور عجيب . شعور بأنه محاصر !!

أما العجول فهب واقفا ببساطة ، ليقول :

.. لأبغضه قبل أن تفوح رائحته . ساعثنى ولا تخف ... لن يؤذك .. فائدة للميت الوحيدة ، أنه لم يعد قادراً على الإيذاء مجدداً ..

ولم يدر (يوسف) لماذا وجد نفسه بجيب .

.. أرجو هذا ..

بل ولم يدر سر تلك القشعريرة الباردة التي كانت تعزو جسده بقسوة !!

عندما عاد إلى غرفته ، بعد منتصف الليل ، لم يكن قادراً سوى على النوم لذا أهدل ملابسه ، وأطفا المصباح .. ثملقى جسده على الفراش ..

كل ما كان يريد النظر به هو قنوم المصباح .. لكنه لم يقف به !!

شيء ما جعله يستيقظ قبيل الفجر . صوت خطوات !!

فتح عينيه ببطء مرهق شاعراً أنه لا يزال يحلم . ورغم الظلام الدامس شعر بوجود شيء ما يتحرك ..

وعيه يعود إليه بالتدريج .. الآن يدرك أنه ليس شيئاً .. إنه شخص ... !

عيناء تتكيفان على الظلام .. إنه شخص ما يقف في الظلام أمامه مباشرة !

يسترد وعيه كئيب .. هذا الشخص يحمل مكبئ ، يلتصع نصله في ضوء القمر - بكلمات يديه ، ويهم بغرزه في قلبه ..

ومدركاً لهذا كله تصلب جسده في رعب مطلق .. كانت لحظة من اللحظات التي تعجز فيها غريزة البقاء ، عن اتخاذ رد فعل إيجابي ..

لكنه على ضوء القمر الشاب رأى النصل يرتجف في يد صاحبه .. ثم خرج من حامله صوت مألوف .. صوت أنثوى يتحدث بالإنجليزية ، وقال بلهجة مرتعشة :

.. أنت .. أنت .. لقد نمرت حياتي ... !

إنها السيدة التي رآها صباحاً .. ويبدو أنها جنت .

وبغثة هوت بالمسكين فأغضض عينيه ، وقد فقد القدرة على التنفس ثم . فمعدن البارد يسقط على صدره ، ثم صوت خطوات مسرعة إلى الخارج ..

وعندما فتح عينيه .. كانت غشاوة رقيقة من الدموع على عينيه .. دموع الاتفعال ..

إنه حي .. حي .. حي .. لم تقتله !!

تلك الحفيرة !!!

وإذا تحول أنفعاله إلى ثورة هائلة ، أمسك بالسكين ،
وانطلق يعدو إلى الخارج مطلقاً صرخات غضب مجنونة ..

لكن صوت السيارة المبتعدة أثناء من بعيد ، فوقف بلهث
وجسده كله يرتجف ...

لقد هربت .. القتلة للمجنونة هربت ..

ومعلمنا أشلاء أعصابه ، استدار ليعود إلى غرفته وقد فقد
قدرته على النوم ..

دخل أضاء المصباح و ... واتسعت عيناه في ذهول ،
تحديقاً في الهول الذي حدث ...

فهذه المرة ، كانت الصدمة أكثر قسوة من أن يحتملها !

الليلة الثالثة

فتش عن المرأة ..

أشعل يوسف سيجارة ثم أخذ ينفث الدخان في سماء الغرفة ..
حسنًا .. ليرتب أوراقه .. الساعة الآن الخامسة صباحًا .
ولن ينام على كل حال .. لذا لنبدأ ، فلأموقف كالتالي .

لقد قنقل للإقامة في تلك الغرفة جوار المقابر ليتفرغ للكتابة ،
لكن كل شيء حوله اجتمع على منعه من تحقيق مبتغاه .

لولا رأى تلك القبور الستة قبل أن توضع في مكانها ، ثم
رأها في اليوم التالي ؛ إذ وضعت على شكل دائرة مكتملة ..

ثم جاءت تلك الرسالة الإنجليزية التي تطلب منه أن يعين
نفسه عضوًا ميتًا في الليلة التاسعة ..

بعد هذا يأتي دور السيدة الإنجليزية التي كادت تقتله في
فراشه ، وهي ترند بهستيريا أنه نمر حياتها !!

وأخيرًا .. وأخيرًا كل ما كتبه في تلك الرواية التي استوحاها
من الأحداث الدائرة من حوله .. ست لو سبع صفحات ، ترقد
ألمه الآن ناصعة البياض ، كأنما لم يمسه قلم !

لما ما كتبه فهو ألمه الآن . مكتوب على الحائط كله
على الحائط !!

أحدهم نقل كل ما على الورق إلى الحائط بمعجزة ما ..
والأدهى أنه نقله بخطه هو ..

بل ولم يكتف بهذا ، بل كتب المزيد .. فبلى جوار سطوره ،
تراصت سطور أخرى بالإنجليزية ، وبهذا الخط المائل
المرسوم ، الذي كان يقول هذه المرة :

« رأى يوسف كلماته وقد خطت على الحائط ، فلم يتم
ليلتها ، بل أخذ يدخن ويفكر .. يفكر في حل لهذا كله .. حل
منطقي للامكانية الدائرة من حوله ، وفي اليوم التالي انطلق
ليبحث عن السيدة الإنجليزية .. »

ومطفئا سيجارته ، غمغم (يوسف) ساخرًا :

- رغم أن أسلوبه رديء ، إلا أنه يساعني حقًا في كتابة الرواية ..

ومع أول أسهم من أشعة الشمس اخترقت زجاج نافذته ،
معلنة عن مولد الفجر ، ألقى (يوسف) بجسده المكسود على
الفراش ، مزعماً النوم ..

لكنه كان يرتجف .. ويشدة ..

فهو يعرف . بل يدرك أنه ما ين يستطيع حتى سينطلق
يبحث عنها ..

عن السيدة الإنجليزية ..

« تتلم كثيرًا يا سيد (يوسف) .. »

قلتها للعجوز الذي أجزته الغرفة ، إذ استيقظ عصرًا ،
فأجابه بصبر نافذ :

- كنت مستيقظًا طيلة الليل ..

- لماذا ؟

- كنت أفكر في خطة لخسك ..

- ماذا ؟

- لا عنك . أريد أن أسالك عن شيء ما .. عن تلك
السيدة الإنجليزية التي جاءت أمس ..

فرك العجوز كفيه ، ليقول متخابها :

- ماذا عنها ؟

- ما اسمها وكيف أجدها ؟

هرش العجوز رأسه مفكرًا ، وقال :

- لا أتذكر اسمها بالطبع .. لقد كان اسمًا غريبًا يصعب
نطقه ، لكني سمعتها تتحدث بعربية ركيكة للغاية عن قتل ما ..
لا أتذكره .. اسف . لكن لماذا تصال على كل حال ؟

فكر (يوسف) لحظة في أن يقص عليه أحداث الليلة
الماضية ، لكنه أحجم عن هذا ، ليقول :

- حاج (سيد) .. اريد ان احدثك على انفراد .

لم يكن هناك أحد بالجوار ، لكن (يوسف) وضع نراعه على كتف العجوز ، وتحس به جانباً ، ليهمس له فى خطوة :

- حاج (سيد) .. ابنى اراقب هذه السيدة ، لكن يجب ان يبقى كل ما ساقوله لك بيننا فحسب ..

استبد الخوف بالعجوز ، فهتف :

- هل انت مباحث 119

- نعم . والآن اخفض صوتك واصغ لى جيداً .. نحن نعتقد انه ثمة شيء ما فى التوابيت التى دفنتها تلك السيدة .. مخدرات فى الواقع ، لكن يجب ان يبقى كل ما ساقوله سرّاً لا يخرج من احننا مهما كان السبب .. ونحن الآن فى حاجة لمساعدتك ..

- كيف 12

- اخبرنى كيف اجد هذه السيدة ؟

اجاب العجوز ببساطة :

- عن طريق العربّة التى نقلت التوابيت .. لقد كانت مؤجرة من شركة (...)

حنكى (يوسف) فى العجوز مأخوذاً ، متصلاً كيف استطاع هذا الوغد حل مشكلته بهذه البساطة 11

ليتمالك نفسه الآن ، فهو رجل مباحث لا يفترض به ان يندهش ، لذا قال بصراحة متوترة :

- عظيم .. لتبقى كل ما قلناه الآن سرّاً بيننا

وتركه ومضى فى خطوات سريعة ، والهواجس تمزق تفكيره . لقد عرف كيف سيجدها ، ولكن ..

ما الذى سيفعله معها 119

ما علاقتها بكل ما حدث أصلاً 112

ثم .. مهلاً .. لماذا لا يكون ما قلناه للعجوز صحيحاً 114

عصابة دولية تهرب المخدرات فى توابيت وتريد استخراجها . ومشكلتهم تتمثل فى شاب مصرى وحيد يقطن المطاير ، قد يكشف خطتهم ..

ما الحل إذن 14 لتخيفه . لتخيفه حتى يترك كل هذا ويهرب ..

لِمَ لا 112

لا .. لا . ماذا عن القبور 12 .. فرسالة 12 . خطه على الحائط 12 .. انه يريد ان يفهم .. حل منطقي للامنطقية 11

حل ربما يعثر عليه عند السيدة الإنجليزية ..

وبعد عدة ساعات كان (يوسف) يخرج من مكتب الشركة ، قابضاً على وردة بين أنامله ..

اسمها (إليزابيث كاندش) .. بريطانية . تقيم حالياً فى فندق من فنادق الدرجة الثانية فى قلب العاصمة . هـ قد عرف كيف يصل إليها ، وبكى أن يعرف ما لدى سيفطه معها .

وفى الأغلب لن يحدث هذا إلا حين تصوير أمانه .. عندئذ سيعرف .. سيفطهم ..

وسينتهى هذا كله .

أو سيبدأ !!

* * *

الساعة الآن التاسعة والنصف مساءً .. والمشهد كالتالى ..

(يوسف) يقف منتظراً ، مكتئباً خلف أحد السيارات فى ركن الشارع المظلم قرب مدخل الفندق . توشك سيارته على التصادم وقبضة الجوع تعصر معنائه بعد يوم كامل لم يتناول فيه شيئاً

لقد دخل الفندق وسأل عنها ، ليعرف أنها خرجت منذ الصباح ولم تعد بعد ..

لكنه تركت حقيبتها فى العرفة ، وهذا يعنى أنها لم تسافر عقدة إلى بلدها .. وهذا يعنى أنها ستعود إلى هنا إن عاجلاً أو آجلاً .

عظيم .. لكن متى ستأتى !!؟ . إن الانتظار الممض هذا يحرقه ببطء !

ولأخنت الصاعات تمر عليه كالقرون ..

وبعد أن نفذت سيجرته وصبره وقدرته على التحمل ، وكنت تلك السيرة السوداء أمام الفندق ، بصريز ينم عن قيادة خرقاء ، ثم خرجت هى من السيارة ، تكاد تمسك لفرط ما أسرفت فى الشراب .. إنها لمعجزة أنها نجحت فى القيادة إلى هذا الحد ..

رائحتها (يوسف) وهى تترنح داخلية للفندق ، ثم قرر ما سيفطه . سينتظر حتى تصعد ، ثم سيتسلل خلفها إلى غرفتها حيث لن تقاومه فى حالتها هذه ..

لهم أن يستطيع أن يخرج منها كلمة واحدة وهى فى هذه الحالة !

والآن حان وقت الانطلاق ..

اجتاز المدخل .. متجهاً إليها !

بلغ السلام .. متجهاً إليها !

اجتاز الممر .. متجهاً إليها !

ثم وقف أخيراً أمام باب غرفتها يرتجف اتفعالاً . مذبذبة على الباب ليطرقة ، فتحقت أسوأ كوابيسه ..

الباب مفتوح !!

هل يدخل !! لا مفر .. لذا دفع الباب بيده ودخل ..

وبدا المشهد الذى يراه يتشكل فى مخه ببطء مخيف ..

غرفة صغيرة . منضدة .. مقعدان .. سرير فى منتصف
الحجرة .. هى ممددة على السرير .. مذبوحة . الدماء تنزف
من جرحها باطراد .. السكين فى يدها .. لقد نبحت نفسها ..
لدماء تتجمع على الفراش .. عيناها الجلحظتان ترمقانه بنظرة
اتهام مريرة .. وثمة ورقة على المنضدة مكتوب عليها بخط
هستيرى ردىء : (أنت دمرت حياتى) ..

وعلى الحائط .. وبالدماء .. كتب :

« لقد خالفت القواعد وعليك أن تعلن نفسك عضواً موتاً فى
الليلة التاسعة »

!!!!!!

الآن تكتمل الصورة فى ذهن (يوسف) ..

والآن يصقط مضطرباً عليه عند باب الغرفة !!

* * *

الليلة السابعة

فقدنا ثلاث ليالى !!

استجمع كل إرادته وقوته ليزيح تلك الغمامة السوداء من
على عينيه ، فاكشف أنها جفناه ..

رفعهما لحظة ، فألم الضوء الساطع عينيه ، فأغلقهما
مجدداً فى ألم ثم عاد يفتح عينيه على اتساعهما .. طالعته
وجه ذلك الكهل المبتسم ، الذى خرج صوته ليرن فى أذنيه :

- لقد استيقظت مجدداً . ساعطيك المهدوء ..

وشعر (يوسف) بوخز الإبرة فى ذراعه ، ثم بالمهدوء
يمسرى فى عروقه ..

ما الذى حدث ؟

قرأ الكهل تساؤله فى عينيه ، فأجاب :

- كنت فى المستشفى . لقد ظلمت ثلاث ليال تحت تأثير المخدر ،
لذا مستشعر بنوع من العجز عن التفكير ، وإن كنت تسمع ما
أقوله الآن ، استرخ تملأ ، وساعود إليك ..

وارتفع وجه الكهل ، ثم غاب عن مجال إبصاره .. وفى
ذهن (يوسف) بدت الكلمات كالبخار ، تولد وتتلاشى بأسرع ما
يستوعبها ..

المستشفى . المعاطف البيضاء .. طلاء الجدران هذا . إنه يذكر هذا المكان ..

لكنه لا يذكر وجه الكهل .. ثم .. ثم .. ثلاث ليال تحت تأثير المخدر !!

هل مازال تحت تأثيره ؟

كل ما يذكره هو دماء .. دماء كثيرة .. امرأة مذبوحة ..

(إليزابيث كافنديش) .. دماءاااااااااا !!

وتحول بخار الأفكار في رأسه إلى عاصفة عاتية ..

ما الذي جاء به إلى هنا ؟! .. ما الذي حدث ؟!

لقد كان يقف عند باب غرفتها ، حين فقد الوعي ، لكن عن أي ثلاث ليال تحدث هذا الرجل ؟! .. هل قلل مغشياً عليه لثلاث ليال كاملة ؟!

كيف ؟!

المعلوم .. لقد خدروه لأنه كان ..

« هل استرددت وعيك ؟ »

أدار رأسه ببطء فطالعه وجه الكهل مجدداً ، وقد جلس جوار فراشه ، ليقول :

- والآن أصغ لي جيداً يا أستاذ (يوسف) .. لقد عرفت اسمك من البطاقة ..

- ما .. الذي .. حدث .. لي ؟!

- لقد عثروا عليك في غرفة فندق ومعك جثة سلحة إجليزية مذبوحة . ولقد أصبت فت بحالة هياج عصبى ما إن استيقظت اضطررنا معها إلى تخديرك طيلة هذا الوقت . والآن الشرطة تريد استجوابك ، لكنك لست مضطراً إن لم تكن مستعداً بعد ..

ازدادت عاصفة الأفكار في رأسه هيجاً .. استجواب ..

ما الذى سيفعله ؟!

« هل أصبح جاهزاً ؟ »

انفتح الصوت البارد القاسى المفكره ، فأدار عينيه إلى تلك الضابط الشاب الذى وقف عند باب الغرفة يحذقه بنظرة اتهام ..

- بإمكانك أن تحاول معه ، لكن لا ترهقه كثيراً ..

قالها الطبيب الكهل ، ثم غادر الغرفة ليتركهما سوياً .. أما الضابط ، فنقد اقترب من فراش (يوسف) مسنداً إليه نظرات اتهام لا تعرف الرحمة ، وقال :

- (يوسف) .. ما الذى كنت تفعله في غرفة القتيلة ؟!

.. لا .. لا أنكر ..

قالتا وأشاح بعينييه بعيداً عن سهام الاتهام للموجهة .. إنه
إن يصدقه لو أخبره بالحققة ، لو كان يملك حقيقة ليقولها ،
لذا فليعض في تمثيلية فقدان الذاكرة هذه .

عاد الصوت البارد القاسي ، الذي يشعره بالذنب لمسيب
لا يفهمه ، يقول :

.. ماذا تعنى (بلا أنكر) هذه ؟! .. لقد كنت هناك ..

.. هناك ١٢ أين ١٢

.. فى غرفة القتيلة .. (إليزابيث كالفنديش) ..

.. أى قتيلة ؟! أنا لم أقتل أحداً !

.. أعرف أنك لم تقتلها . لقد انتحرت .. لكننا وجدناك عند
باب غرفتها ، فما الذى أتى بك إلى هناك ؟!

.. لا أنكر ..

بدا الضابط وكأنما سيفرض عليه لينتزع حنجرتيه ، إلا أنه
جنب نفساً عميقاً أخرجه فى صوت هادئ ، يقول :

.. حسن إذن سننتظر أن تمر علينا يا سيد (يوسف) ما إن
تخرج من هنا ، وسأترك أحد الجنود أمام باب غرفتك لأؤكد أنك
لن تنسى ..

ودون أن ينتظر رده غادر الغرفة بخطوات مسرعة ..

لما (يوسف) فتجاهل هذا كله ، ولخذ يفكر فى المشكلة الأهم ..
لقد أضاع ثلاث ليل ، وهذا يعنى أنه فى الليلة السابعة ، وأن
الليلة للتسعة أو شكت دون أن يفهم أى شىء بعد ..

لأنه الوحيد الآن يكمن فى معرفة من هم أصحاب القبور
للسنة .. يجب أن يعرف من هم ..

فقط لو استطاع أن يخرج من هنا .. أو بمعنى أدق ،
لوهرب من هنا !

بصعوبة استعاد السيطرة على عضلاته ، ليهب من على
للغرائش ، متجهاً إلى الخزائن فى ركن الغرفة .. لابد أنهم
يحتفظون بملاوات إضافية هنا ..

هل ستبحث عنه الشرطة ؟! .. بالتأكيد ، لكنهم لن يعرفوا عليه
بسهولة ، وهو لا يبقى إلا أن يتركوه حتى الليلة التاسعة ..
بعدها ..

بعدها على الأغلب لن يصنع عثورهم عليه أى فارق !!

« صمويل لانجرهام » .. كامبريدج

« آلان ديرمو » .. كامبريدج

«توم فريمان» .. كامبريدج

«ستيفن كونتز» .. كامبريدج

«جوزيف ساتلر» .. كامبريدج

«بيتر مورجان» .. كامبريدج

ووسط القبور الممتدة ، وقف (يوسف) محاولاً فهم ما يحدث ..

صحيح أن هروبه كان مرهقاً .. صحيح أن آثار المهدى لم تتلاش بعد .. لكنه يريد أن يفهم ..

لماذا جاءت هذه القبور بعد مجيئه ؟

لماذا يتلقى تلك الرسائل على جدران غرفته ؟

لماذا كانت (إليزابيث كلفنديش) أن تقتله ؟ ولماذا اقتحرت بعدها ؟

كل ما يريده هو أن يفهم ..

«استفد (يوسف) .. إنه أنت ..»

ارتفع صوت الحاج (سيد) بهذه العبارة ، فأدار إليه عينين صامتين ..

- أين كنت طيلة هذه الفترة ؟!.. لقد فُتقت عليك ..

أراك أن يجيبه ، لكنه لم يستطع ، فواصل العجوز

- لقد اختفيت فجأة .. وسألت عنك ، لكن ..

اقتزع (يوسف) للكلمات من حلقه ، ليقاطعه :

- أين حارس المقابر ؟

- أي حارس ؟!

- لرجل العجوز الذي يعيش هنا ..

للتمعت الحيرة في عيني الحاج (سيد) ، وهو يقول :

- لا عجوز هنا سوى .. عن أي رجل تتحدث ؟

تسللت العصبية إلى نبرات (يوسف) :

- من يحرس هذه المقابر ؟

- أنا ..

- ولا أحد سواك ؟

- لا أحد ..

- اللعنة !!

ها هو لغز جديد يجد طريقه إلى حياته .. الرجل

العجوز الذي كان يجلس معه طيلة الليل ، لا وجود له !

مرهق .. هذا هو ما كان ينقصه !

- أستاذ (يوسف) .. إنك تبدو مرهقاً للغاية ، و .. وما هذا الذي ترتديه ؟

نقل (يوسف) عينيه بين رداء المستشفى ، ووجه الحاج (سيد) ، ثم قال :

- سأذهب إلى غرفتي ..

وتركه بخطوات متناقطة ، وقد قرر أن يذهب هذا كله إلى الجحيم ، فهو الآن لا يريد سوى أن ينام ..

وعلى باب غرفته وقف .. ففتح الباب ثم أضاء المصباح ..

وبعينين خائبتين أخذ يرمق الجدران ، فلقى أغرقها السطور الإنجليزية ذات الخط المائل المرسوم ..

لقد فاته الكثير إذن . لكن لا بأس . سيترك هذا اللغز : لأنه الآن ..

سينام ..

★ ★ ★

الليلة الثامنة

السبعة :

استيقظ (يوسف) في اليوم التالي وقد زال أثر المخدر من أوصاله ، فظهر إلى جدران الغرفة نظرة سريعة ، ثم غطم :
- لأمتد لولا ..

ارتدى ملابسه ليغادر الغرفة ، ثم عاد بعد ساعة وهو يحمل إفطاره ، وعلى المشعل الصغير في ركن الغرفة ، ترك المياه تغلي . الجدران لن تطير على أية حال !

وما هي إلا دقائق حتى جلس على كرسي أمام الجدار ، مسكاً بكوب شاي تتصاعد الأبخرة من على سطحه ، مشعلاً سجارة ، ليبدأ في القراءة ..

بدأ يقرأ قصة السبعة ..

★ ★ ★

الزمان .. عام ١٧٢٠

المكان .. (كاسبريدج) .. ذلك المنزل العتيق ، ذو المدخل الضيق ، والملازم الملتوية كقنقعي ، وفي الأعلى غرفة ضيقة بها طاولة خشبية مستديرة حولها سبعة مقاعد ..

وعلى المقاعد تراص السبعة .. (بيتر مورجان) و (صمويل لانجرهام) و (آلان ديرمو) و (توم فريمان) و (ستيفن كوتنيز) و (روبرت داوونى) و (جوزيف ساتنر) .

فى ذلك الوقت فى كمبريدج ، كان شعار الشباب الأوحده ، هو تكوين الجمعيات .. جمعية محبى طوبىع لبريد .. جمعية كارهيا .. جمعية جامعى العملات .. جمعية اللامؤمنين بالعملات .. جمعية جامعى الملابس النسائية وحرقها فى احتفال مهيب !

أى جمعية .. المهم أن ينضم كل شاب إلى جمعية ، وأن تكون لهذه الجمعية قدسيته التى لا تقل بالنسبة له عن قدسية للكنيسة ذاتها ..

لكن هؤلاء السبعة كانوا مختلفين .. وكنت جمعيتهم مختلفة أيضاً ..

كانت جمعية ذات قانونين لا ثالث لهما .. أولهما : ألا يزيد أو يقل عدد أعضاء الجمعية عن سبعة أياً كان السبب .. أما الشرط الثانى فهو عدم التغيب عن اجتماعات الجمعية فى الثانى : من نوفمبر من كل عام مهما كان السبب .. حتى لو كان الموت ذاته هو السبب !

قد يبدو هذا غريباً ، لكن الأغرب حدث عام ١٧١٣ وقبل ميعاد الاجتماع بيومين فحسب ..

ففى ذلك اليوم مات (آلان ديرمو) فى مبارزة . لكنه صلاً بقواعد الجمعية حضر الاجتماع فى ميعاده ، حيث أقضوا الوقت فى الرقص والغناء ولعن كل المقدسات فى كل دين ، وفى نهاية الاجتماع أعلن (آلان ديرمو) نفسه عضواً ميتاً !

وعن هذا تقول سجلاتهم التى تركوها ، ليعثر عليها فيما بعد المؤرخ (كيلي كوش) أن ستة أزواج من العيون للذاهلة حدثت فى (آلان ديرمو) .. شبحه على الأتى . وإذا استطاع أحدهم النطق ، كان ما قلله هو :

- ولكن .. كيف !!

- لماذا كيف !!

- لأن هذا غير منطقي .. لأنك ميت !!

- أخبروني عن أكثر الأشياء منطقية ، ومساعد لكم شيئاً

غير منطقي فيها .. !!!

ومرت السنوات .. وتواتت الوفيات .. وتزداد عدد الموتى حتى بلغ ستة !

ولا بد أن للهلع قد استبد بالمسابع ، الذى كتب يقول .

- لمست أفهم ما الذى يحدث .. ثم أعرف كيف بدأنا هذه

الفكرة المجنونة ، ولا أعرف كيف تنتهى .. إننى الوحيد الذى

بقى حياً ، ولقد عذمت على تكبير كل شيء قبل فوات الأوان ..

إلى هنا ينتهى دور السجلات ..

أما ما حدث بعد ذلك ، فلم تذكره السجلات ..

فلى النيلة تلقى كتب فيها السماع (روبرت داوونى) أسطره هذه ، عاد إلى منزله وكتبه يخفق بعنف .. يجب أن ينتهى هذا كله . يجب لكنه يدرك أنه لن ينتهى بسهولة ..

يدرك أن الستة معه طيلة الوقت .. لا ليس فى الاجتماعات فحسب .. بل فى كل وقت وكل مكان !!

يدرك أنه العضو الوحيد الحى ، وأن لهذا ثمنه !!

يدرك أنه خالف قواعد الجمعية .. أهم قوانين الجمعية .. ولقد عرفوا ..

والآن هو يدرك أنها ليلة الأخيرة ، لذا عليه أن يسرع ، وأن ينهى كل شيء كما بدأ ..

جلس على مكتبه ، وأخرج أوراقه ، ثم أخذ يخط رسائله الطويلة .

وإذ انتهى كان يمسك برزمة الأوراق ويلهث ترى هل ستصدق !!؟ هل سيصدق أحد !!؟ لدى على الخلعنة للتحنينة الباردة ، فجاءته ، لتقول ببرود :

.. نعم يا سيدى ..

.. (هيلين) . خذى هذه الأوراق وضعيها فى مظروف ، وأرسلها إلى يد الملكة (كارولين) شخصياً ..

.. ماذا !!؟

.. نفذى يا (هيلين) .. لا وقت للجدال .. وثمة شيء آخر عليك للقيام به ، لذا أصغ لى جيداً ..

والتقى على مسامعها بكل ما لديه كانت وصيته الأخيرة !

فلى الصبح عثروا على جثته شالصة العينين ، وكان الشيء الوحيد المؤكد فى موته ، هو أنه لم يكن طبيعياً بالمرة .. لم يكن كذلك أبداً ..

الآن يقف (يوسف) فى منتصف الغرفة يرتجف ..

الآن يعرف من هم الستة .. أصحاب القبور ..

لقد جاءوا من أجله .. استخدموا تلك السيدة (إيزابيث) لتقتل قبورهم إليه .. وهو لا يحتاج إلى تأكيد ليدرك أن القدر سيكون للثقى من لوهمبر ..

سيكون النيلة التاسعة ..

ولكن .. ما علاقته هو بهذا كله !!؟ لا يزال لا يفهم !!

لكن عليه أن يتصرف ويسرعة .. عليه اتخاذ ردة فعل ما .. عليه أن ..

لكن لطرقات الهادرة انفرعته مما هو فيه ، ليهتف بالتفعل :

.. من !!؟

أتاه صوت الحاج (سيد) مفعنا بالهلع :

- أستاذ (يوسف) .. افتح رجاء ..

غمغم (يوسف) بضجر :

- ما الذى يريد هذه المرة ؟!

ولتح للهب ، ليجده يرتجف أمامه من فرط الانفعال ، فسأله :

- ماذا حدث ؟!

- اعتقد أنه يجب أن ترى بنفسك ..

- أرى ماذا ؟!

لم يجب العجوز هذه المرة ، بل أشار تجاه القبور التى بدت وكأنها تمتد بلا نهاية ..

رسالة واضحة تقول « اذهب إلى هناك .. إلى دائرة القبور » ..

رسالة استقبلها (يوسف) بصمت ، قبل أن يتجه بخطوات بطيئة إلى هناك ..

الليل يرسل نسماته الباردة ، وألوانه القاتمة ترسم للسماء من جديد ..

الآن يقف أمام دائرة القبور السبعة .. سبعة ؟! مهلاً ، لقد كانوا ستة !!

بخطوات ذاهلة يخطو (يوسف) إلى قلب الدائرة ، وتدور عيناه فى استسلام فترى على الشواهد ..

(بيتر مورجان) و (صمويل لانجرهام) و (آن ليرمو)
و (توم فريمان) و (ستيفن كونتيز) و (جوزيف ساتر) .. ثم
(يوسف يحيى) !!

قهر سابع انضم إلى الدائرة المخيفة ، يحمل اسمه هذه
المرة ..

والآن يدرك (يوسف) من هو السابع !!

★ ★ ★

الليلة التاسعة

العاب

دارت عيننا تلك لرجل فيما حوله في بطن .. ثم شد قلنته باعته ،
كما يلقي بعقيد شرطة في مثل عمره ، قبل أن يتقدم إلى دائرة الأحداث ..
صغير سيارات الشرطة وأضواءها للزرقاء تنعكس على
شواهد القبور ، تصبغ الموقف كله بطابع سينمائي محبب ..
إن الأمر أشبه بفيلم ، وهو أشبه بهضلة !

وحين يمتزج صوت الصافرات بحركة للرجل بأجهزة
المعمل الجنائي ، في أوركسترا نادرة تعزف لحن الجريمة ..
يتقدم هو بشموخ لحل طلائع الجريمة كالمعتاد ..

نادى بصلف متصد على أحد الجنود ، فجاءه هذا مسرعاً ، ليصله :
- ما للموقف حتى الآن ؟

- لم نثر على الجثث بعد لكننا عثرنا على هذه .

وناوله رزمة من الأوراق تلقفها هو باستكثار ، فهتف :

- ما هذا ؟

أتاه جندي آخر ، يهتف بلهفة :

- سيادة العقيد .. ثمة ما يجب أن تراه ..

- ماذا ؟

- الغرفة .. الغرفة التي كان يقطنها ذلك الشاب .. يجب أن
تري بنفسك ..

اندفع العقيد بخطوات مسرعة إلى الغرفة ، ولم يكد يدخلها
حتى هتف :

- ما هذا ؟

ودارت عيناه في الجدران التي غطتها الكتابة الإنجليزية
لمرسومة ، ليردف :

- أي حدث هذا ؟

ثم أخذ يقلب في الأوراق في يده ، مغمضاً :

- عليها تكون ذات فائدة ..

وجلس على الفراش ليبدأ في قراءتها ..

ومع المسطور بدأ يعرف ما الذي حدث ..

في الليلة التاسعة ..

في ذلك اليوم ، كان أمام (يوسف) الكثير ليفعله ..

إنه اليوم .. إنها ليلة للتسعة !

لماذا لا يهرب ؟ نعم يهرب .. يترك كل هذا الجنون
ويرحل ..

الفرصة أمامه وستمر الليلة التاسعة كأي ليلة أخرى ، لكنه لن يكون هنا .

لكنه الفضول .. الفضول الذي قتل ألف قط قبله !!

أد يرحل ، لكنه سيقتضى عمره كله عاجزاً عن اللهم ..
بعضى عمره كله يفكر ، ما الذى كان سيحدث لو ظل ؟؟

لذا سيبقى .. لذا سيفعل ما يفعله ..

من الواضح أنه السامع بصورة ما .. ومن الواضح أنه يجب أن يخضع لقوانينهم ويحضر الاجتماع ، وأن يعين نفسه عضواً ميتاً ..
لكن !!

لكنه يملك لهم مخططات أخرى !!

خرج فى ذلك اليوم قاصداً مكاناً ما ، وعندما عاد كانت تلك اللقافة التى يخطى فيها المصدم ، ثقيلة فى يده ، تشعره بمزيج من الاطمئنان والرهبة .. إنه لم يستخدم مصدماً من قبل ، لكن مجرد وجوده ، كليل ليضمر بالأمان ..

فليأمل أنه لن يضطر لاستخدامه ، وإن كانت كل الظروف من حوله ، تؤكد أنه لن يكون ذا فائدة أصلاً ..

والآن ليكمل مجموعته ..

ذهب إلى غرفة الحاج (سيد) العجوز مؤجر الغرفة ، وطرق على بابه ليأتيه للصوت المتهك الخبيث :

- من ؟!

- أنا (يوسف) ..

صوت حركة .. اصطدام بشيء ما .. خطوات ، ثم يفتح الباب الخشبي ، ليطل العجوز من خلفه .

- أستاذ (يوسف) .. تفضل ..

ظل (يوسف) واقفاً مكانه ، وهو يسأل :

- هل أحضرت ما طلبته منك ؟

- نعم .. نعم .. لكن هل ما زلت مصراً ؟!

- بالطبع ..

- لو كنت مكانك ، لاستدعيت أحدهم .. صدقنى .. لولا سنى لما تركتك بمفردك ..

- لا بأس سأذهب بمفردى وليكن ما يكون ..

منحه العجوز نظرة طويلة مشفقة ، ثم غاب فى غرفته ليعود حاملاً معولاً ، ناوله إليه قائلاً :

- هذا سيفى بالفرض ..

- عظيم .. تذكر ما أخبرتك به جيداً ..

- سأفعل .. أعدك أننى سأفعل ..

ودون إضافة عاد (يوسف) إلى غرفته، حاملًا المعول ..
الآن سينام، وعند منتصف الليل تملأ سميتيفظ .. و ... و ...
وسينزل إليهم !!!

* * *

عند دقائق منتصف الليل، خرج (يوسف) من غرفته للكلبوسية
حاملًا المعول والمسدس ..

ملأ صدره بأنسام الليل الباردة، ثم اتجه إلى دائرة القبور ..

نرى .. هل يرتجف جسده من البرد أم من الخوف !!!

بلغ القبور السبعة التي بدأت الأعشاب ترحف على شواهدها،
لتصنع أمامه لوحة قوطية مخيلة .. ذات اللوحة التي رآها في
أول ليلة ..

ولج بين الشواهد بصعوبة، ثم وقف في منتصف الدائرة
محاولًا السيطرة على أعصابه ..

ثمة أصوات ما تنبعث من القبور !! أصوات همس !!

هل بدأ يهنوس ؟ لم يعد يرى !

الآن ليبدأ، فلم يعد يفصل بينه وبين الفهم سوى دقائق
قليلة مهما طالت ..

رفع المعول بأقصى ارتفاع، ثم هوى به جوار قبره ! لكم
يبدو الأمر ملحقاً !

لكم يبدو الأمر رهيباً !!

وبعد نصف ساعة كان قد تنهار جوار القبر بنهث بعنف، وقد
أفرك عدم جدوى ما يفعله .. إنه لن يستطيع المواصلة هكذا ..

حاول زحزحة الوجهة الرخامية مستلذاً بالمعول، فهذا أن
هذا الحل أكثر منطقية .. ها هي الوجهة تهتز وتزأر ..
وببطء شديد بدأت تتحرك ..

تتحرك .. بمزيد من الجهد .. تتزاح .. أكثر قليلاً .. ها هي
ظلمات قبره تنكشف له ..

الآن يرى الحفرة الضخمة التي كانت تختفي أسفل الوجهة
الرخامية، لينهار جسده على حافتها، لينظر إليها وهو يغتم :

.. كان يجب أن أحضر حبلًا ..

لكن لا مجال للتراجع الآن .. لذا ألقي بالمعول في ظلام
الحفرة، وبحركة بالغة، ألقي بجسده خلف المعول

كأن المسقوط مؤلماً، لكن الارتفاع لم يكن كافياً لتنهشم عظامه .
لذا وقف بصعوبة داخل الفقرة، وتحسس طريقه حتى أمسك بالمعول
مجدداً، فواصل الحفر، وظلام القبر من حوله يخنقه ..

رجل يحفر قبره ، على محل القموض الذى يمر حباته فى اللبلة التاسعة ..

وحين اصطدم المعول بواجهة التليوت الخشبي أخيراً ، ألقى بالمعول جانباً ، ثم استنفر عضلاته المجهدة ، ليزيح الغطاء ، وفى أعمله يتلوى سؤال عن كنه الذى سيجده أسفل هذا الغطاء ..

وإن أراحه جانباً ، وقف يرمى ذلك النفق الطويل فى باطن الأرض ، الذى تبدى له على هذا الضوء الخافت ..

الضوء الخافت القادم من أعماق الأرض !!

وقف لحظة يصغى لأصوات الهمس ، ثم غمغم :

.. لقد جللت .. أرجوك يا إلهى .. أرجوان أكون قد جنتت ..

وبعد لحظات من التردد ، ألقى بنفسه فى النفق ، وهذه المرة تدرج جسده طويلاً ، قبل أن يصطدم بالأرض بعنف ، شعر معه وكأنما تهشمت كل عظامه ، لكنه تحمل على نفسه ليقلب ، وهو يتسائل :

.. وصلت .. لكن .. أين !!

وعلى الضوء الذى ترددت حفته رأى للمر الممتد أمامه ، فاجتاز به خطوات حثرة ، وبده تقبض على ممدسه ، مستنداً إليها إلى أى مكان سيعترض طريقه ..

وفى نهاية الممر ، ففر منه ذاهلاً ، يحدق فى المشهد أمامه .. وأمامه كانت تلك القاعة ، التى احتوت على منضدة خشبية ، تراصت حولها سبع مقاعد ، وعلى سطحها رقد دفتر عتيق تراصت حوله الشموع .. دفتر من القرن الثامن عشر ..

تقدم مأخوذاً من هذا كله ، وجلس أمام المقعدة .. هل تذكر !! حين جلس وأخرج أوراقه وقرر أن يكتب ما حدث ويحدث .. لقد كان هذا حين سمع الخطوات ..

لثقت مذعوراً والممدس يرتجف فى يده ، ليصغى بانتباه إلى صوت الخطوات القلعة .. خطوات أكثر من شخص يتجهون إليه ..

يا إلهى !! إن ما يراه الآن مستحيل !! مستحيل !!

فأمامه كان السبعة يدخلون إلى القاعة ، واحداً تلو الآخر .. مهلاً .. السبعة !!

حدق ذاهلاً فى الملمع الذى دخل بخطوات وليدة ، ناظراً فى عينيه مباشرة .. فى المعجوز حارس المقابر الذى قابله فى اللبلة الأولى ، وجلس معه ليتسامرا !!

خرجت الكلمة من فم (يوسف) كالضحج .

.. أنت !!

تأه الصوت الأجش ، الذى لم يحل من الود به :

.. نعم يا بنى .. أنا السباع ..

تھاوت يد (يوسف) التى تحمل المسنن جواره ، وهو يهيم ذاهلاً :

.. ولكن .. كيف !!؟

ظل العجوز صامتاً ، فى حين جلس الستة حول المقدة ، رامتين (يوسف) فى إصرار ، ثم تحدث للعجوز ليقول :

.. القصة أعقد بكثير من أن أحكيها .. ولكن لم لا ؟! أصغ جيداً ولا تقاطعنى إن كنت تبغى الفهم ، وما أحسبك هنا إلا لأنك تريد أن تفهم . بالتأكد أنت تعرف الآن قصة السبعة ..

لطق أحد الستة الجالسين بتجليزية عتيقة :

.. بالتأكد .. لقد كتبتها بنفسى على حائط غرفتك .. بالمنااسبة .. أنا (آلان ديرمو) ..

واصل العجوز كان لحداً لم يقاطعه :

.. السباع (روبرت داونى) كان أحد جدودى . لا تتدهش فأنت لا تعرف من هم جدودك بعد . أنت تعرف أنه خائف للتعليمات إذ تزوج وأنجب ، وبهذا أخل بكوننا سبعة .. وقواتين الجميعة صارمة لا تقبل النقاش ؛ لذا دفع الثمن فى ثلثة التى أخفى فيها بسر الجمعية ، إذ أرسل إلى الملكة (كارولين) . فى هذه الليلة

أرسل ابنته مع الخادمة إلى مكان مجهول ، فتوالى لسله وسافر وهاجر وقلتهى الأمر بى أنا . أنا حفيد السباع .. سلته (يوسف) بتردد خائف :

.. هل أنت .. ميت !!؟

شقت الابتسامة طريقها فى ملامح العجوز ، وهو يجيب :

.. لا .. أنا حى .. لا بد أن يكون السباع حياً ليضمن استمرار الستة الآخرين .. أظنك الآن تتساءل عن كيفية استمرارهم ..

كان (صمويل لانجرهام) هو من تحدث بالإنجليزية العتيقة ، ليقول :

.. تكصد أشباحنا .. لكن ألا تظن أنه لا داعى لأن يعرف ؟

لجاب العجوز ببساطة :

.. لا فارقى ..

ثم عاد بوجه كلامه إلى (يوسف) :

.. المؤرخ الأحمق (كبرى كوش) ظن أنه فهم كل شيء عندما عثر على تلك السجلات فى المنزل القديم فى كامبريدج ، لكنها لم تكن السجلات الحقيقية . فالسجلات الحقيقية ترقد أمامك الآن على الطاولة .. أنا الذى استطعت العثور عليها وحفظها بعد كل هذه السنوات ، وأنا الوحيد الذى عرف كيف كانوا يستمرون ..

انفجر (يوسف) بكفة :

- ما دخلى لنا بهذا كله ؟!

طفلق العجوز بلسانه ، وأجيب بلهجة عذب نبوية :

- قلت لك لا تقاطعنى لقد كنتمو يمارسون السحر الأسود كل اجتماعاتهم كانت لممارسة طقوس هذا الفن الغامض ، حتى بلغوا فيه درجات لم يبلغها أحد ، واكتشفوا أسراراً لم يكن لأحد أن يعرفها . من هذه الأسرار ، كانت طريقة الاستمرارية ، ولهذا كانوا يحتلون إلى ضحية .. ضحية آدمية

وابتسم ابتسامة واسعة جعلته يسعل ، قبل أن يردف :

- وأنت ستكون ضحيتنا الأدمية . لا تنكر أن كل ما حدث استخرجك إلى هنا بسهولة ..

شعر (يوسف) كأن طرقت مخيلة تهوى على رأسه ، وهو يدير عينيه ذاهلاً غير مصدق في وجوه السبعة ، ليجاوبوه بسبع ابتسامات مقبلة ..

كل هذا كان عهداً ١١

كل هذا ليسترجوه إلى هنا ١٢

خرجت الكلمات من فمه زائغة :

- لـ .. لكن لماذا أنا بالذات ؟!

وانتبه إلى سؤاله فلردف :

- هل كنتم من (كامبريدج) خصيصاً من أجلنى ؟!

أجاب العجوز ، ملوحاً بكفه في الهواء :

- آه .. نسيت هذه النقطة .. (يوسف) هل تتبعك جدودك من قبل ؟!

- لا ..

- ألا تعرف أن لك نصولاً أجنبية ، وأن أحد جدودك هو السيد (مكارث ستيفنسون) ؟

- من هو (مكارث ستيفنسون) هذا ؟!

- إنه السيد الذى قتل (الآن ديرمو) فى تلك المباراة عام ١٧٤٣ .. وأنت الحفيد الوحيد له الذى لم يتزوج بعد .. أنت آخر النسل .. !!

★ ★ ★

الآن يتدلى فك (يوسف) ببلاهة ، بينما يقول العجوز :

- لا وقت لنضيقه .. آسف يا بنى ، لكننا سنضطر لقتلك .

ترجع (يوسف) ثم لم يلبث أن انتبه إلى المعدس الذى بحمله ، فسندده إلى العجوز ، وهتف :

- هل نسيت أننى من يحمل المعدس هنا ؟!

تدلت الضحكات من سبعة حلاقيم ، ثم قال (آلان ديرمو) :

- إنك لن تخرج من هنا على أية حال .. نحن نتظرنا مئات السنين ، ولن يضربنا أن نضيف إليها الوقت اللازم لتخور قواك ..

وأضاف العجوز باسمًا :

- أما أنا فاستطيع الانتظار ..

هتف (يوسف) :

- ستخور قواك أنت أيضًا ..

مطّ العجوز شففيه ، وقال :

- حينئذ سيتصرف هؤلاء السادة .. إن بقاءهم رهن بقلي ..

- أشكرك .. هذا ما كنت أود التأكد منه ..

والتمعت عينا (يوسف) بظفر ، وهو يردف :

- ها أنت قد قلتها .. إن بقاءهم رهن بقلك .. وأنت حتى مثلي ،

والمسدس سيعمل معك بكفاءة ..

توترت التجاعيد في وجه العجوز ، وقال :

- هل ستقتلني ؟

- هل لدى خيار آخر ؟؟

نظر العجوز نظرة استغثة إلى الأشباح الستة ، لكن (يوسف) قفز بعيدًا عن متناول أيديهم ، صائحًا :

- فليبق الكل في مكانه ..

وفي ذهنه أخذت الأفكار تتوالت بأسرع من قدرته على الاستيعاب .. يجب أن يتصرف الآن .. لن يستطيع تسلق الحفرة ، ولن يتركوه يفعل لو حاول .. وهو لن يظل هكذا طويلًا ..

لقد كان الحاج (سيد) على حق ، حين أخبره أن يحضر أحدهم معه !

الآن هو وحيد وسط مهرجان الأشباح هذا !!

ما الحل ؟

قال العجوز كلما قرأ أفكاره :

- لا مفر أمامك .. استسلم ..

صرخ (يوسف) بعصبية :

- قف مكانك ..

لكن العجوز واصل تقدمه :

- استسلم يا بني .. استسلم ..

- قلت لك لزم مكانك ..

- استسلم .. استسلم ..

وهم العجوز أن ينقض ، لكن رصاصة انطلقت من مسنن
(يوسف) واخترت صدره ، ألزمته مكانه وأخرسته إلى
الأبد ..

وسقط العجوز على الفور والدماء تتفجر من صدره ..
وبذهول لاهث أخذ (يوسف) يحدق في الجثة أمله ..

لقد قتله !!

ولم صمت حدقت الأشباح الست في الجثة ، ثم نطق
(آلان ديرمو) ليخرج صوته هادئ النبرات :

- عظيم ..

التفت إليه (يوسف) ذاهلاً ، فواصل (ديرمو) :

- لقد سار الأمر كما خططنا له .. شكراً !!

وابتسم (ديرمو) ليقول مفسراً :

- ألم تفهم بعد ؟ لقد فعلت كل ما كنا نتريده .. أنت
السابع لا هو .. لقد أوهمناه أنه السابع لتتخلص منه بعد أن
اكتشف السجلات الحقيقية ، والآن لا يبقى أمامك سوى الانتحار

بعد أن دمرت حياتك .. عليك أن تعلن نفسك عضواً ميتاً كما
هي قوانين الجمعية ..

همس (يوسف) ذاهلاً وهو يشعر بأن الأرض تميد به :

- مستحيل !!!

- الآن ينتهي دورنا .. أنت آخر نسل السابع وأياً كان ما
ستقرره فالنهاية حتمية .. سننتظرك هناك .. في الجيب
الآخر ..

وسابحين في الهواء هذه المرة ، ضارت الأشباح الستة
لمسكن ، تاركين (يوسف) والجثة التي تلزف منها
الدماء بلا توقف ..

وهمس (يوسف) مرة أخرى :

- مستحيل !!

إنه الآن قاتل .. قاتل وهارب من الشرطة ..

حياته دمرت نهائياً وكل هذا لأنه حفيد السابع .. والآن
أصبح بقاؤه هنا كخروجه ، لا يحملان له سوى الهلاك ..

إلا إذا ..

ونظر إلى الممسك في يده بشرود ، مدركاً أنه لا خيار آخر أمامه ..

لا خيار على الإطلاق !!

انتهت الأوراق في يد العقيد ، فصفع في ذهول مستغرب :

.. ما هذا اللعب ؟! لست أفهم شيئاً !!

ودخل أحد الجنود الغرفة ، ليقول برسمية :

- سيدى .. لقد عثرنا على جثتين في أحد القبور المفتوحة .. أحدهما لعجوز تلقى رصاصة في صدره ، والثانية لشاب يبدو أنه التحر مطلقاً النار على رأسه ، ويبدو أنه من قتل العجوز ..

أدار له العقيد عينين شاربتين مصدومتين ، ثم قال :

- انتشلوا الجثتين .. لقد انتهت القضية قبل أن تبدأ .. القاتل اقتحر ..

- ماذا عن الأوراق يا سيدى ؟!

- يبدو أن القاتل أصيب بالجنون ليكتب هذا كله .. إننا لم نجد قبوراً أسفل الأرض ولا شيء .. مجرد قبر مفتوح فيه جثتان .. إنه هارب من المستشفى على كل حال ولا يوجد تفسير آخر سوى جنونه ..

وبهتاء هب من مكانه ، ليردف بلهجة باترة :

- لقد أغلق ملف القضية ..

الآن نذهب إلى (فرنسا) .. إلى تلك الغرفة في الفندق التي استيقظ فيها (جان مارسو) على كابوس عجيب^(*) .. كابوس عن سبعة قبور في مصر ، يجب أن ينقل التوابيت منها إلى فرنسا ..

كابوس يطارده بضراوة ، كأنها مهمة عليه القيام بها !!

إنه لم يذهب إلى مصر من قبل ، لكن يبدو أنه سيذهب قريباً .. وبعد أن يتم مهمته سيكون عليه أن ينتحر !!

(*) هل تذكر (إنزابيث) ؟!

شعور غامض يكتنفه ، يقول هذا .. نعم . سيتم مهمته هذه
ثم سيلتحر !
سيكون مضطراً ..

تمت بحمد الله

د . تامر إبراهيم

■ ■ ملاحظة أخيرة :

قصة السبعة مقتبسة من إحدى الوقائع التي
نكرها للكتب الكبير (أنيس منصور) في كتابه
« أرواح وأشباح » ..